

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عَنِّي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الْأَبِ لُؤْلُؤِ شَيْخِ الْيَسُوعِيِّ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ



طبعة سابعة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٠

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الحليّة ١٧٢

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدِينِ

فِي كِمَالَةِ تَعَالَى

١ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَثَارِ . وَمَكْشُورُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْأَلِيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمْ . وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعَهُ كُلُّ . وَضَعَهُ لِاصِفَةٍ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمْدَ لَهُ . وَلَا تَخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالْأُصُورُ . وَلَا تَتَبَّرُهُ الْأَثَارُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَاسَةُ وَالْمُقَارَبَةُ .
وَلَسْتَ تَحِيلُ عَلَيْهِ الْأَحْكَادَاةَ وَالْمُقَابَلَةَ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودُهُ . لَمْ يَفْقَرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِلْسِ . وَالْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جِنْسَ لَهُ) وَإِنْ قُلْتَ: كَمْ هُوَ. فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ: مَتَى كَانَ . فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ وَإِنْ قُلْتَ:
كَيْفَ هُوَ. فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفِيَّةُ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ . وَإِنْ قُلْتَ: هُوَ فَالْمَاءُ وَالْوَاوُ خَلَقَهُ . فَمَا تُصَوِّرُ
فِي الْأَوْهَامِ . فَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّلُومُ .
وَلَا تُصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ .
وَلَا يُخَوِّيه مَكَانٌ . وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يُخَصِّرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَبْدٌ . قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ . وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ . عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَنَجْمَتُهُ مِنْ
غَيْرِ تَنْقُلٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوک للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضُّفَى وَيَا مُقَدِّمَ الْمَلَكِي . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَجَّ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَيَبَاضُ النَّهَارُ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشَمَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمُؤَسِّسِينَ
لِلْمُتَكَلِّينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدُهُمْ وَعَايَنَهُمْ وَأَطَّلَعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ . إِذَا أَوْحَشَنِي الْغُرْبَةُ

أَنَسَنِي ذِكْرُكَ . وَإِذَا أَكَبْتُ عَلَى النُّعُومِ لَجْتُ إِلَى الاسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرَهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقِلْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غَمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَدَّدَ الْمَذْهَبَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ فَلْسَتِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْغُلَظَّةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدُّعَارَةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي تَمَحَّجٌ فَتَخَنِّي فِي نَوَائِبِ الْمُرُوفِ قُصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا نَمْعَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ وَلِينَ الْجَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْعَمَلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَالْهَمْنِي ذِكْرُكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرُ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 الشَّدَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فَمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْمَحَاسَبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أَحْتَجِبُ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسَرَّبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالْعَجَبِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبَرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ جَدِّهِ . يَا مَنْ أَنْقَذَتْ

الْأُمُورُ بِأَرْمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِمُحِبَّاتِ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْفِهِ . يَا مَنْ
 أَنْارَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنْارَ الشَّمْسِ
 الْمُنِيرَةِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْفِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِنَشْرِهِ سَحَابٍ نَعْمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعْقِدِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَحَلَّيْتَ بِهَا لِلْكَلِيمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعِظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمِ الَّذِي فَتَقَتْ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعِیُونِ لِلنَّاطِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدَبِّرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَصْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ خِرَاتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْأَقَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشَّكَّ وَالْكَفْرَ وَالتَّفَاقُ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتَ وَالغَضَبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصِّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ تَسْمِعُ الدُّعَاءَ
 لَطِيفُ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المناداة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَازِرَ الْعُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الْكُرُوبِ . يَا قَاتِلَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ الثَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ .
 يَا مُنْشِرَ الرُّفَاتِ . يَا قَاقِ الصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَّاحِ . فَجَرًا مَعَ
 الرِّوَّاحِ . يَجْلُنْ فِي النُّوَاحِي . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُجِيَّ الْبِلَادِ . يَا مُطْلِقَ الْأَسِيرِ . يَا قَاهِرَ الْأَكْبَرِ .
 يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَازِي الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النُّوَاصِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصٍ . مَا غَنَى مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجْرٍ مِنْ الْجَحِيمِ .
 مِنْ هَوَاهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الدَّيْمِ . مِنْ حَرِّهَا الْقَيْمِ . أَسْكِنِي
 الْجَنَّاتَا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالذُّورِ قَدْ
 تَلَاوَا . أَلْقَى بِهِ الْجَلَالَ (ديوان علي)

٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحَمِّدُ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقِ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَأْمُسِنِ الْبَرَّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلُ السِّتْرِ الْجَبِيلِ عِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمْتَ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الشَّاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَتِمُّكَ غَافِرُ وَلِتُوبَةِ الْعَاصِي بِجَلْمِكَ قَائِلُ
 رَبُّ دُرِّي الْعَالِينَ بِبِرِّهِ وَنَوَالِهِ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تَفْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
 مُتَقَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
 وَإِذَا دَجَّ لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
 وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ فَأَلْهَمَا
 يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِيفِ الْفَرْجُ الَّذِي
 يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مَنْ يَسْمَى إِلَى
 وَمَنْ أَسْتَرَّاحَ بَغِيرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا
 رَأْيِي يُلَمُّ إِذَا عَرَّتْهُ مَلَمَحَةٌ
 عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
 وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ
 أَنَا عَبْدٌ سَوْءٌ آتِي كُلُّ عَلَى
 قَدْ أَتَمَلَّتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
 هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
 فَأَغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ نَوْرًا
 وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
 ٧ قَالِ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي حَسَنٍ

يَا مَنْ تَحُلُّ بِذِكْرِهِ
 يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى
 يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا
 عَقْدُ النُّوَابِ وَالشَّدَائِدِ
 وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدِ
 صَدَدًا تَنْزَعُ عَنْ مُضَادِّدِ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعَبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمُلُكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُبْتَلِيتُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدٌ
 إِنَّ أَلْهُمُومَ جُوشَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَلْبِي تُطَارِدُ
 فَرَجَ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
 فَخَفِي لُطْفَكَ يُسْتَعَاذُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمَعَانِدِ
 أَنْتَ الْمُسِيرُ وَالْمُسَبِّبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبِّ لَنَا قَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَٰهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ رَاحِي فَلَقَدْ يَأْسَتْ مِنَ الْآقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ
 وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُخَيِّبْنِي فِي الْحَوَائِدِ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَايِدِ
 وَعَنْ أَلْوَرَى كُنْ سَارِئًا عَنِّي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدِ
 يَا رَبِّ قَدْ ضَاغَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَغْتَالَ الْمُعَانِدِ
 فَأَمْنُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْحَوَائِدِ
 هَذِي يَدِي وَبَشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدُ
 فَلَاكُمُ إِلَٰهِي قَدْ شَهِدْتُ بِفَيْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدِ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَاطٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عَفِيرَةِ الْأَمْبَادَةِ الضَّرِيرَةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَّدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ
 حَتَّى عَمِيتَ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ أَلَمِي عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَصَبَّحْتَ غُفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمِيَ الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
حُبِّهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا (لِلنَّبِيِّ)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَبَيْتُ الْعِيَالِ لِكَيْ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبَيْتُ مُجَاوِرِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَوِّنِي أَصْحَابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمٍ
قَالَ آخَرُ يَصِفُ عَابِدًا :

مَا زَالَ يَخْتَرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى رَوَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هِمَّةُ
رَثُ اللَّيَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٍ فِي الْأَرْضِ مُشْتَرٍ فَوْقَ السَّمَاءِ لِسْمَةِ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّ اللَّهَ مُعْتَصِمٍ عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ :

يَا طَالِبَ الطَّيِّبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْأَدَاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَتِهِ لَأَمَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

تَيْبِكَ تَيْبِكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عِبْدًا إِلَيْكَ مُلْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْقَا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
 وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَوَلَاهُ
 إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
 سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كُنْفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
 صَوْتِكَ تَشْفِئُهُ مَلَائِكَةٌ قَدْ نَبِكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْنَاكَ
 فِي جَنَّةِ الْجُلَدِ مَا تَمْنَاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
 سَلَنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا ضَجَرٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
 ١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَاهِ هُوَ الِيقَظَةُ مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
 الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالْتَّسْوَى لَكِنْ وَرَعُ أَهْلِ
 الشَّرِيعَةِ عَنِ الْحَرَمَاتِ وَوَرَعُ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ التَّحَاسُّبَةُ
 وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
 نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرَّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
 تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّعُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخَالُفُ الْقَلْبِ
 عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ أَيْدٍ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
 الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ
 عَلَى الْمُسْكَارَةِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشُّكْوَى وَقَعِ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
 وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبُلْوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخُلُقِ عَنْ مُمَالَةٍ
 الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِيَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَ الْخَيْرِ فِيمَا اخْتَارَهُ
 (لباء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبُّ هَيِّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي غَمْرِنَا مَدَدًا .
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا . فَالْنَفْسُ تَفْجِرُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا .

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَفْذِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَقْطَعُ الْعَمَلُ .
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ وَعَلَى الْفِتْرِ وَغَمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِصَّتِهِ وَعَلَى
الْصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عِزًّا لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
إِلَيْهِ يَا رَبُّ تَطَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النَّعْمُ . وَتَدَارَكْتُ عِنْدَكَ مِنِّْي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النَّعْمِ الَّتِي تَطَاهَرْتُ وَاسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ .
أَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا أُبْتَلِيَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أَذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا وَأَوَّابًا . لَا فَالْجِرَ وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا أَزْدَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا حَاطَ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعِزُّ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْنُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةٍ ذُنُوبُهُ . ضَائِعٍ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنَهُ

ضَعِيفٌ وَمُنْتَهَ عَاجِزَةٌ . قَدْ انْتَهَتْ عُدَّتُهُ . وَخَلَقْتَ جِدَّتَهُ . وَتَمَّ ظُهُوهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طَوْلِ الْبَسِيَّةِ . وَحُسْنِ التَّبَاعَةِ وَتَشْجِيعِ الْعُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ
 الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى جَلَمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلَالِ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَقْبَيْشِيِّ مُسْتَعْظِمًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِيْرَةً وَلَمْ يَنْهَ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَافٌ
 تَرِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفٌ
 تَطْلَعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَأَتْلُبُ مُظْلَمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفٌ
 تَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقْضَتْ أَوْ رُوقٌ خَوَاطِفٌ
 وَجَاءَ الشَّيْبُ الْمُنْذِرُ الْمَرَّةَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَأَلَّفُ
 فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَذْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِ الْكُهُولَةِ هَاقِفٌ
 فَهَلْ أَرَقَّ الطَّرْفُ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفٌ
 فَجَدَّ بِالْذُّمِّ الْحَمْرُ خُرْنَاوًا وَسَرَّةً قَدَمَكَ يُبْنِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفٌ
 قَالَ آخِرُ :

إِلَهُ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَاحِ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرِي يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بِبَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَيَقْبِرُ
لَيْنِ أَعْظَمَ النَّاسِ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ بَدَى مَا فِي الصَّبِيرِ وَلَسَّمْعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمُنْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى قَهْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِقْتِفَارِ إِلَيْكَ قَهْرِي أَذْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يُقْطَعَ عَاصِيَا أَلْفُضْلُ أَجْرَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْقَرَضِي :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَنْبَغْ عَنْكَ عَيْبُهَا وَيَدْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَافُ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَافُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْهَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوُو الْقُرْبَى وَيَجْهَوُ الْمُؤَالِفُ
لَيْنِ صَاقَ عَنِّي عَفْوَكَ الْوَلِيعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَأَيَّ لَتَافُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفَلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبُّمَا خَلَقَتْ نَفْسِي
كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ. وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَجْرَدَةِ عَنْ
الْمَادِيَّاتِ. وَخَلَقْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ. فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَغْلِقُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِي مَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ. فَحَيْثُ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
وَالْإِهَاءِ وَالسَّئَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَنِيمَةِ مَا أَتَى مَعَهُ
مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا. فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ. وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ. ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضَرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النَّوْرِيَّةِ. فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْوَقْفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْإِهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَشْئِهِ. فَإِذَا اسْتَرْقَيْتُ ذَلِكَ الشَّأْنَ
وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْإِهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعِ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ. فَحَيْثُ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي
كَيْفَ اسْتَحْدَرْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ. وَبَعِثْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مَمْتَلِئَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا. فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيُوسٍ حَيْثُ
أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَالتَّجَسُّصِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

(لباء الدين)

الْبَابُ الثَّانِي فِي الزُّهْدِ

فِي الْخَوْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ: أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ فَاصْكِبِينَ. وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورَهُمْ مَأْمُونَةٌ. وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ. وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً. لِيَقْبَى رَاحَةُ طَوِيلَةٍ. أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى دِيَارِهِمْ: رَبَّنَا رَبَّنَا. يَطْلُبُونَ فِكَكَ رِقَائِهِمْ. وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ حُلَدَاءِ بَرَّةٍ أَتَقِيَاءُ كَانَتْهُمْ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا). يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ يَقُولُ: مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ. (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجَاسِ الزُّهْدِ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَلْوَتٍ مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا. فَهُمْ أَنْصَاءُ عِبَادَتِهِ. حُلَفَاءُ طَاعَتِهِ. قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَفْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي تَحَارِيهِمْ. يُتَاجُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ فِي فِكَكَ رِقَائِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخَوَرْتَقَ وَالسِّدِيرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخَوَرْتَقِ يَوْمًا فَاعْجَبَهُ مَا أَوْتِيَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسَّعَةِ وَنُفُودِ

الْأَمْرِ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَصْحَابُهُ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلَى شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرَرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُفِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتُلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَفِرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرُمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقُمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَهْنِي وَاللَّهِ لَا أَطْلُبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأَتَخَلَّمَ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ الْأَمْسَاحُ وَسَاحَ فِي الْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَ لَا يَسْمَعُ وَيَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَ . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرِ نَقِي إِذَا أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْتَجَرُّ مَعْزُضًا وَالسَّدِيرُ
فَأَرَعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةٌ حَيٍّ إِلَى أَلْمَاتٍ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَانَهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ قَالَتْ بِهِ الصَّبَا وَالْدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ النَّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ خَرَجَ مُتَصِدًّا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

فَمَرَّ بِشَجَرَةٍ . قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَتَاخَوْا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحُزْنَ بِأَمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمِرُوا الدَّهْرَ بِعَاشٍ حَسَنٍ أَمِنُوا دَهْرَهُمْ غَيْرَ وَجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْقَرُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَدْحَالٍ

قَالَ (ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَمَرَّ بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْخَبُوءُ نَ عَلَى الْأَرْضِ الْفَجْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كَمَا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْبَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عَظَمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النِّجَاةَ . قَالَ : دَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ . قَالَ : وَفِي هَذَا النِّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينِيذٍ وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ

(للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلُمَا

١٩ (مِنْ الْمُنْهَجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَاتِ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا
السَّبَاقَ وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالْعَاثَةَ النَّارَ . أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلُهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَمَلُّونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ خَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَتَّقُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّلْمِ . وَدَلَلْتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَتْبَاعُ الْهُوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرَدُونَ بِهِ أَنْفُسُكُمْ غَدَا

٢٠ (عَنْ تَوْفِي الْبِكَالِي) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمِ رَامِقٌ . قُلْتُ: بَلِ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ يَسَاطَاطًا وَزُرَابِيهَا فِرَاشًا وَمَاءُهَا طَبِيبًا وَالِدِّينَ شِعَارًا وَاللِّدْعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بِيَدَيْهِ

وَبَيْنَهُ مُوَأْنَسَةٌ . قُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . قَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لُجُ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا تَتَلَبَّبُ فِيهِ مِنْ نِعَمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
الطَّيَائِفُ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . قَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . قُلْتُ :
وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ انْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
قُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَمَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَةِ .
قَالَ : لِأَحَدٍ هَذَا السَّبْعُ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمًا يَبْدِيهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْحَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَخْلُطَنَا . قَالَ : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْمُؤَبَّةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . قَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَيْسْتَ السَّوَادَ .
قَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَا تَمُّ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَيْسْتُ
السَّوَادَ . قُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . قَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَ عَيْنٍ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ : لِأَنَّكُمْ
عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثُّقْلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَبْلُغِ الْعِظَاتِ النَّظْرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْحَمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَأْسَ مَنْ لَا يَأْسَاكَ .
وَأَحْسِنْ سِرِّيَّتَكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخْضِبِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوَيَّةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَمَلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مَنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيُخَجِّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيُزَكِّيْهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْكَوْكَبَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تَجَالِسَ مَنْ يُشْغَلُ
بِالْكَلَامِ وَيُذَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ النُّعُومِ . وَيَتَبَرَّأْ مِنْكَ
وَيَنْتَبِ عَيْبِكَ . وَلَا تَنْتَشِبْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشِيكَ بِالْجَبَّارَةِ . وَكُنْ يَمْنٌ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ يَمْنٌ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا اعْتَلَّتْ فَافْكَرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْدُعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيبِينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمِثْلَهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ . وَأَرْضَ النَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَالْأُلُوصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا رَبِّي مَلَكُوتُكَ . لِيَتَكُنْ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 أَغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَأَنَامَنَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبَاسِ
 النَّسِيحِ وَنُقَدِّسْكَ وَنُجِدَّكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمُظْمِتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ أَمَانِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَائِكَ حَتَّى
 تَشْتَعِلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِ قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَتَحَذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَقْتَنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَقُوزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُبْنِي لَكَ الْبِرَّ وَالسُّلْطَانَ وَالْهُدْرَةَ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانْصَرَفْتُ
 وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قُتْمُ الرَّاهِدِ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . قَالَتْ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ أَحْتَوَشَتْهُ السَّاعَةُ فَهُوَ خَائِفٌ مَدْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَيَقْتَرِسَهُ أَوْ يَاهُوَ فَيَنْهَسَهُ . فَإِنَّهُ لَيْلُ مُحَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُفْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حَزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَرَكَعَنِي
 قَالَتْ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظُّلْمَانَ يَفْنَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَةَ الْجَلِيدَةَ إِذَا كَانَتْ مُرَوَّةً بِرَمْدٍ وَنَحْوِهِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشْعَةِ الْقَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مُرَوَّةً أَلْهَوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَةِ الْمُحْجُوبَةِ عَنْ ذَوْقِ الْأَلْذَاتِ الْإِنْسِيَةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ فَعِذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُنْقَضٍ ذَا مُنْجَزٍ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وَجَدُوا لَا يَتَّبِعُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ عَبْدُوا وَالنَّفْسَ لِمَا بَدَا صَنَمُ
(لِبِهَا الدِّينِ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِمَيْرِيُّ :
عَجِبْتُ لِمَتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْمَدَى وَلِلْمُشْتَرَى دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ عَجِبُ
وَأَعَجِبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ : ابْنُ آدَمَ أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَائِهَا بِمَا
يَنْقُضِي . وَمَنْ نَعِمَ بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكَيْهَا بِمَا يَفْنَى . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَأَهْلَكَ الْأَمْوَالُ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَأْتِي شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ أَلْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ أَلْحَالُ
مَلُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالُ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَبْكَةٍ إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَنْبُ
هِيَ الدَّارُ مَا أَلَا مَالٌ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا أَلَذَّاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمْعُهَا أَلَانَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِيلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عِمْرَانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا إِهْوَى مُتَبِعٌ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَتَغَدَّعُ
أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوَ مِضِرِّ الْبَرْقِ مَهْمًا لَمَعُ
٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَا ضَيَّرَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَعَدِّينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بِسْطَةً وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَرِجُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا قَعَدَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبَلَ مِنْهُمْ بِذَلِّ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
بِرَّادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْخَذُوا عَلَى فُجَاءَةٍ . فَقَدْ غَفَّاتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَيِّئُوا لَهَا قِبَلَ
أَنْ تَعْدُبُوا . وَزَوِّدُوا لِرَّحِيلٍ قَبْلَ أَنْ تُرْجَعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْفِقٌ عَدْلٍ
وَقَضَاءٌ حَقٌّ . وَلَقَدْ أُبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ
٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَتَنْزِلُ قُلُومَةٍ وَعَنَاءٍ . قَدْ تَرُعْتَ مِنْهَا
نُفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَانْتَرُعْتَ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْعِدِ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبَهُمْ عَنْهَا . وَأَشْغَاهُمْ بِهَا أَرْغَبَهُمْ فِيهَا هِيَ الْعَاشَةُ لِمَنْ اتَّصَحَّهَا
وَالْمُنُوبَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ أَتَقَى فِيهَا
رَبَّهُ وَتَضَعُ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضَيِّجُ فِي دِمَنِ غَبْرَاءٍ . مُذْهِمَةً ظُلُمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَنْشُرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامٍ بَعْضُ الْبَلَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَّتْ . أَوْ أَطْلَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرْكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْجَحَتْ هَجَتْ . أَوْ
أَسْقَمَتْ عَقَتْ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
أَوْ مَاجَنْتْ جَنْتْ . أَوْ سَاحَحَتْ حَحَتْ . أَوْ صَلَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
صَلَتْ . أَوْ بَالَنْتْ لَفَتْ . أَوْ وَفَرَتْ قَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
نَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لباء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الدِّينُ عَلَيْهِمْ وَجَدِي وَبَقِيَ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحَدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شِرَانٍ فَهُوَ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثَتْ لِلخَلْقِ أَطْبَاقُ التُّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْوَلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الْخَدِ
٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّينِ يَوْمَ الدِّينِ تَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَنَنْقُطُ اللَّذَازَةُ عَنْ أَنْاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَنَنْقَطُ الْهُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَخِرَكَ الْعَالَمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمَ قَدْرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ الْمُنَايَا تَذَنَّهُ لِلدُّنْيَةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحُرِّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يُؤْمِلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا عَدَا وَدُونَ عَدِ لِلْمُنَايَا عَلِ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَقْتُونٍ يُخَافُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا إِقْبَرِهِ يَبَادِي بُكَاءَ نَحْتِهِ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَعْدَا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْحَلُ عَدَا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَضْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمِّلُ غَيْبُ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩. أورد ابن خلكان للحسن بن علي الحارثي :

عَنْتُ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَاسْتَرَاحَ الزَّاهِدُ الْهَدَى الْهَطْنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زَخْرَفَهَا حَسْبُهُ بِمَا حَوَى كَفْنُ

يَقْتَنِي مَا لَا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُقْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مُرْتَمِنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَتَّعُو بِهِ وَسَنُ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَ آذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَنشَدَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمُلُوكِ أُنْوِشِرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ نَجَبِي إِلَيْهِ وَأَحْسَابُورُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَا طَيْرَ فِي ذُرَاهُ وَكُودُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَيْنَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَانْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ

مَا قَاتَ مِنْهَا قِتْلًا وَمَا بَقِيَ فَلَمَّانِي

٣٠. اسْتَأْشَدَ التَّوَكُّلُ أبا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: إِنِّي لَهَلِيلُ
 الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَنشَدَهُ:

بَلَّوْا عَلَيَّ قُلُوبَ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَقْعَمُهُمُ الْفُلُ

وَأَنْتُمْ تَزِلُّوهُ بَعْدَ عِزِّهِ عَنْ مَعَاذِهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
أَيْنَ أَلُوجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَالَمَا كَثَرُوا الْأَمْوَالَ وَادَّخَرُوا
وَطَالَمَا شَبِدُوا دُورًا لِيُخَصِّصَهُمْ
أَصْحَتِ سَاكِنُهُمْ وَخَشَا مُعْطَلَةٌ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ
أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحَهَا
أَيْنَ الْعَمِيدُ الْأَلَى أَرْضَدَتْهُمْ عُدَا
أَيْنَ الْقَوَارِيسُ وَالْفِلَمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيقَتَهُمْ
أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامَوْا أَمَا غَضَبُوا
أَيْنَ الرُّمَاءُ أَلَمْ تَمْنَعْ بِأَسْمِهِمْ
هَيْهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا أَرُشَى دَفَعَتْهَا صَاحٍ لَوْ بَذَلُوا
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبُهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

فَاوْدَعُوا حُفْرًا يَا بَشَرُ مَا تَزِلُّوهُ
أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِجَانُ وَالْحُلُلُ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ
تِلْكَ أَلُوجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
فَقَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَاتَّقَلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَّرَحَلُوا
أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
تَوَّءَ بِالْعَصْبَةِ الْمُتَوِينِ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيبَةُ الذَّبَلُ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
أَيْنَ الْحِمَاةُ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَاقَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا أَرُثِي نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَشَرُ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنِيسَ بِهِ نَفْسَاكَ مِنْ كَفَنِهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ أُمَالٍ قَدْ شُنُلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ إِلَّا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرَوْحُهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِلْبَّانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمَمْلُوكُهُ ذَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَرَوَى هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي دِيوانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ الخواص

٣١ قَالَ أَلْمَلِي الصُّوفِيُّ: شَكَوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ فَسَادًا أَجَدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَكَ فِي مَكْرُومٍ. وَإِنْ
 مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتْ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمُ الْخَوَاصِ لِمُحَمَّدِ بْنِ
 عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَهْوِي اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّارَ مَا يَجِبُ عَلَى مُحِبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِمَا يَطْلُبُ الْبَانَاكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدُّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِ طَائِعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَإِيرَادَتُهُ تَتَّبِعُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَلَبُّ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاصِدُهُ

أَنفَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلِيعَتُهُ الْأَذُنَانِ . وَهَمَّا فِي النُّقْلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْإِبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْآلَاءَ وَيَقْرِبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأَمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفِرَ مِنْهُمْ لُغَبٌ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُنْزِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَدْلُ
الصَّالِحُ وَالْتَقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَأَزْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَضْرُ الْحَكَمَاءِ : أَفَى لِلدَّهْرِ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاحِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَنْ تَجْعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يُؤْمِنُ يَوْمَهُ . وَيَخَافُ غَدَهُ . يُضِيعُ نَدِيَّهُ وَيُجْرَحُ يَدُهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَرُومُ وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاقِبُ . حَتَّى تَخْلُكَهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابُ . (وفي فضل ابن الأَمَثَرِ) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوْنٌ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَلِيَانِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرِ . مُطْلَقُ أَعْتَةِ الظُّلَمِ . حَاسِبُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَفَايَةِ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْفُطُوبِ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْحِجَتَيْنِ . قَابِضُ عَلَى النُّفُوسِ

بَكَرْتِهِ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلُ الصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُوُّ الْمُرْدِ مِنْ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرْبِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرِيصَةِ . (وَلِشَّمْسِ أَلْمَالِي قَابُوسٍ) :
الدَّهْرُ شَرٌّ كُلُّهُ . مُفْصَلُهُ وَنَجْمُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أَبْتَنَى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أَبْتَنَى مِنَ النُّوْلِ الْهَدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللَّطَائِفِ لِلدَّقْدَقِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَائِفًا أَطَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فِضَاعَ الْحِرْصِ وَالْحَذَرِ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجُهَا نَعَمْ أَنْصُونُ وَلَكِنْ بِأَسْمَاءِ الشَّرِّ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَقَاتِ مَعْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَقَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَعْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فُجَائِعَ الدَّهْرِ :
وَأَصْبَحْتُ كَأَلْبَازِي الْمُدْتَمِرِ رِيْشُهُ يَرَى خُرْقَاتِ الْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي أَلْهَوَا
يَرَى حُرْقَاتِ الْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي أَلْهَوَا قَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ نَعْمًا
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَعْصُومَ الْجُنَاحَيْنِ خَائِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهَا لَمْ
بِحَاثِيهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرِ تَلْتَطِمُ
وَالْعُرْيَسُ مَسِيرِ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَقْرَأُ لَهُ قَدَمُ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِمَا فَضَحَى وَدَجَّى ضَوْؤُهُ ظَلَمُ
وَالنَّاسُ بِحُلُمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صَمٌّ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعَمْ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعَمْ
فُرِقُوا فُرْقًا فُرِقُوا فُرْقًا وَمَضُوا طَرَقًا لَا تَلْتَمِسُ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَقَدَرْنَا يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَمَعِيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمًا وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

تَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوَّى وَهِنَّ مَرَاجِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
بِمَا أَفْجَحَ التَّغْرِيطُ فِي ذِمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَائِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا إِزَادَ مِنَ التَّقَى فَمَعْرُكَ أَيَّامٍ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّ
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْقَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا هُنَاكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ أَلْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُعْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِّي فَمَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَّ
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ:

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرٍ
فِيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

ضَمُّوا خَدَيَّ عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ عَفْرِ التُّرَابِ فَوَسِدُوهُ
وَشُفُّوا عَنْهُ أَكْثَرَنَا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَنَسِوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَعَّتْ صَبِيحَةُ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرُ مُقَلَّتِيهِ عَلَى وَجْهَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى إِلَيَّ هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَأَنْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمُدَى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَاسْتَيْمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَيْتَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّتِ سَدَّجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارِ سَدَّجِيهِ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى الثَّقَوَى بِهِ سَمَجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
تَرَى الَّذِي أَخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا لَمْ يَذَرِ أَنَّ الْمُنَايَا سَوْفَ تُرْجَعُهُ
وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

حَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ يُعْجِلُ تَخْلِيصَ أَنْفُسٍ مِنَ الْأَذَى وَيُذِنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأَعْتَمًا
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْشَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا عَلَى الرِّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا أَنْ كُرْتُ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
قَالَ الرِّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَزُرَابِ
أَكَلِ التُّرَابِ مُحَاسِنِي فَلَسِيْتُكُمْ وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحِبَائِي
٣٦ وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعْدِي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي لِنَجَاةٍ فَلِحَازِمِ الْمُسْتَعْدِ
قَدْ تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَزْدِينَ وَالْعَوَارِي تَزُدُّ
أَنْتِ تَسْهَيْنَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْمُو وَتَهْلِينَ وَالْمُنَايَا تَجُدُّ

أَيُّ مُلْكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لَا مَرِيَّ حَظُّهُ مِنَ الْأَرْضِ لِحُدِّ
لَا تُرْجِ الْبَقَاءَ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ خُوفِهَا لَكَ وَرَدُّ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنْ الْأَجْبَةِ وَالْمَدَامِ وَمَلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْهَيْسَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَّعْتُ التَّغْوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمًا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ تَرَى يَدَيَّ زَمَانِي
أَبْعَدُ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخُو سُكُونٍ يَلِيْقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ نَقْصُ بَعْدَ هَذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَذَرُ الْيَتَامِ
فَكَمْ أَجْرِيَتْ فِي مَيْدَانِ لَهْوٍ خِيُولَ هَوَى وَكَمْ ضُرِبَتْ خِيَامِي
سَأُوْتِي الْكُلْسَ تَيْدِيًا وَصَدًا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِأَنْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي سِرِّنَا وَالْجَهْدِ
مَنْ يُطِعِ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِهِ أَوْ الصَّمِيرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَذَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَعْجِهِ تَضَلُّوا
لَا تَتْرُكُنَّ نَهْجِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَاعْلَمَنَّ وَاصْغِ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْزِ اللَّهُ لَهُ أَثَقِي
 إِنْ أَتَيْتُ أَفْضَلَ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا أَنْجِمْ إِيَّاهُ لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يُخَصِّدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارُوا إِلَى اللَّهِ
 أَرَى جَمَاعًا الْبَرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْآلَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَأَنْتَفِعُوا بِذَاكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يُبَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَظْهَرُهُ
 فَالْمُوتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامٌ أَنْتَ يَا يَلِيكَ مُشْتَعِلُ
 تَنْصِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الدَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَانْهَضَ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَهَرْتَ قَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِ وَجَدًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نَجْمٍ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى يَمْلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرُقَى مَكَانًا دُونَهُ رَحُلُ
 بَقَاؤُهَا بَيْتَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ

٤٠ قَالَ بَعْضُ الدِّينِ الْعَامِلِي فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ الْأَمَانِي
 أَصْنَعْتَ الْعُمْرَ عَصِيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمُرُورُ مَهْلًا
 وَفِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّعْيِ رَافِلُ
 وَفِي وَقْتِ الْفَنَائِمِ أَنْتَ نَائِمُ

وَطَرَفَكَ لَا يَرَى إِلَّا طَمُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَرَ أَبَدًا جُوحًا
وَقَلْبَكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي قَوْلِكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالتَّوَاصِي
بَلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ يَحْيَى عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
يَبْحَرُ الْإِثْمُ لَا تُضْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبَكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَزْدِيَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا مُجِدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشَاءِ
وَجَهْدِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجِدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

تَرَى الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ فَاهِ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَا نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
هَيْهَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
قَدْ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْمَذْرُ زَائِلُ
مَنْتَ نَفْسَكَ بِاطِلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحِ مَرَّاحِلُ
ضَيَعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَفُزْ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَكِ مُنِيًّا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرَ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُوا . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَثُورِينَ
مَعْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ أَلْدِيَا عُمُوكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُبِّهَا قُلُوبَكُمْ أَسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَسِبْتُهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَادَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَنْتَ الْأَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَبِيبَهُ .
وَأَخَشَنْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَبَنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبْرَتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ تَحْتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
تُحَدِّثُ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتُكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تَبْرِدُ فِيهَا مَاءُكَ . وَلَا صَفْحَةٌ يَكُونُ فِيهَا عَدَاوُكَ وَعِشَاوُكَ . يَادَاوُدُ مَا
لَسْتَهُي مِنْ أَمَاءٍ بَارِدَةٍ وَلَا مِنْ أَلْبَاسٍ لَبَنَةٍ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتُ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَضَرَّ مَا بَدَلْتُ وَمَا أَحْقَرُ مَا
رَكَنْتُ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتُ وَأَمَاتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ وَقَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندرية

٤٣ مختار من قول الحكماء عند وفاة الإسكندر لما جعل في تابوت
من ذهب تَـدْمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُحِبُّهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضِينَ
وَمَلَكَهَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى حِلْمِ النَّاسِ كَيْفَ انْقَضَى إِلَى ظِلِّ النِّعَمِ وَقَدْ انْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَانِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَمِلُّ مَلِكَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ ضَيْقِ الْمَسْكَنِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رُحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَمْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِذَلَالَتِهِمْ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبُرِ أَمْسَ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُنَلِّبُ . (وَقَالَ رَئِيسُ
الطُّبَاخِينَ) : قَدْ نَضَّدْتُ النَّضَائِدَ وَأَقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَضَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ (المقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرِي وَلَدَهُ يَحْيَى :

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لَيْتَ أَسْفَا أَعْذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَّنَا
وَوَوْرِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى
مَنْ كَانَ خَلْوَ مِنْ كُلِّ بَارِقَةٍ
يَا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
يَا مَوْتَ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ
يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَتْ فِي الْعَنَانِ لَهُ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمِ
يَا قَمَرًا أَجْحَفَ الْخُسُوفِ بِهِ
أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفًا
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ
لَوْ لَمْ أُمْتَ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْمَا
٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

وَلَا أَمْتًا لَاقَرَحًا إِلَّا أَمْتًا لَحَزْنَا
لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينِ وَالسُّنَنَا
وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَآخِرْنَا
هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا
يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَمَرٍ مُظْلَمَةٍ لَحْدٌ وَيُلْسِنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا وَمَا وَضَعَهُ مِنْهُ لَمَا كُنْتُ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي النِّسَةَ نَاسِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَخَذَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لَنْ عَمَرْتُ دُورٌ يَمُنُّ لَا أُحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أُحِبُّ الْمُقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لَثَوَايِكَ . فَقَالَ :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَاتُ خُوطُهُ بِيَدِي وَفَارَقْنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ أَسْأَلُوهُ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَأِنَّمَا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي لَخَاَهُ :

أَخْ طَالَمَا سَرَّيْنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْحَنَسَاءُ تَرْثِي لَخَاَهَا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِعَصْرِ الْأَدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِّيَّ الْجَوَادَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْتَقَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
يُجَمِّلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرُهُمْ مَوْلَدَا

جُمُوعُ الصُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَيَا تَجَمُّدِ الْخَابُورِ مَالِكُ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَتَا وَسُيُوفٍ
فَقَدَنَاهُ فَقَدَانُ الرِّيعِ فَلَيْتَنَا قَدَنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَمًا فَإِنِّي أَرَى أَلُوتَ وَقَمًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرَى الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

حُزَنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَقْضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعْدَرَا
وَارْحَمَتَاهُ إِصَارَخَاتِ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْ جِهَهَا لَنْ نَسْتُرَا
مُلِقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْخِرَابِ حِينَ نَسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْمَاهِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرُّهُوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنَّهَا انْتَصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْجُرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَثُرَا
لِحَقِّ الْمُبَارُجِينَهِ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَيْرَا
٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَنَكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ مَالَ وَلَا قَرَسُ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حُرِّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلَقَ كَثِيرُ
وَقَالَ الصَّدِيقِيُّ :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَى غَيْرَ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
عَرَسَتْهُ فِي بَسَاتِينِ اللَّيْلِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ مُتِمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرَى أَخَاهُ مَالِكًا:

لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
رَفِيقِي لِتَذَرَفِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
لِقَبْرِ نَوَى بَيْنَ اللَّوَى قَالِدَ كَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبِثُ الشَّجَا
فَدَعَنِي هَذَا كَلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
قَالَ آخَرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمْ
فَهُمْ يَهْضُونَ وَالْقُبُورُ تَرِيدُ
وَمَا إِنْ زَالَ رَسْمُ دَارٍ قَدْ أَخْلَقَتْ
وَبَيْتُ لَيْتٍ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
هُمْ جَبَرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ
فَدَانٍ وَأَمَّا الْمُلْتَقَى فَبَعِيدُ
٥٠ قَالَ الْفَطْمُسُ الضَّيِّي:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي
أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
قَالَ آخَرُ:

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيًا
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَّتْ نَفْسَ مَيِّتٍ
قَدَّتْكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ حِقْبَةً
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا فَلَيْتَ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
 لَعْمَرِي لَنْ عَمَّرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ:

كُنَّا كَعَصَيْنٍ فِي جُرُثْمَةٍ سَمَّا
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَاكَتْ فُرُوعُهُمَا
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا
 كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
 ٥٢ وَقَالَ الْتَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَافٍ
 أَمَّا الْهُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
 عَمَتْ قَوَاضِيَهُ قَعَمٌ مُصَابُهُ
 يُبْذِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
 فَالنَّاسُ مَا تُبْهِمُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
 عَجَابًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةٍ

يَبْغِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
 بِجَوَارٍ قَبْرِكَ وَالْذِّيَارُ قُبُورُ
 فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَا جُورُ
 خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالْإِنْتَاءِ جَدِيدُ
 فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهِا مَنْشُورُ
 فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّهُ وَزَفِيرُ
 فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرُ

(الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصْرِغَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرَ . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُتَسَرِّبِ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رُبَّمَا اشْتَدَّ . كَالْفَضَنِ الْغَزِيرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَفِيهِ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ . فَالرُّمْحُ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانُ وَالرُّجُجُ . قَالَ الْمَوْسَوِيُّ :

الْقِيلُ يُضَجَّرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقِرْيَةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ :
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَا . فَقَالَ : الْفُتُوحُ
بِعِطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَاثِرَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ :
كَلْمُ الْقَنِيطِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَا عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَمُ . فَقَالَ :
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحَقِّ . فَقَالَ : مَا الْحِمَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسٍ مِنْ هَوْدُونِكَ . فَقَالَ : مَا الشُّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحَمَلَةُ فِي وُجُوهِ
الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَاللَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْهَرَابِ . وَإِرْضَا الرِّجَالِ .
قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِقَادِ . فَقَالَ :

مَا الْأَنْصَافُ. قَالَ: الْمَسَاوَةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: مَا
الذُّلُّ. قَالَ: الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوعِ الْيَدِ وَالْانْكِسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ. فَقَالَ:
مَا الْحِرْصُ. قَالَ: حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ. فَقَالَ: مَا الْأَمَانَةُ. قَالَ:
قَضَاءُ الْوَاجِبِ. فَقَالَ: مَا الْحَيَانَةُ. قَالَ: التَّرَاضِي مَعَ الْقُدْرَةِ. فَقَالَ:
مَا الْفَهْمُ. قَالَ: التَّفَكُّرُ وَإِدْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (لِلغَزَالِيِّ)

٥٥ (فَارِثَةُ جَامِعَةٍ وَلَمْعَةُ سَاطِطَةٍ وَمِثَالُهُ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ. يَغْفِرُ زَلَّتْهُ. وَيَرْحَمُ غَبَرَتْهُ. وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ. وَيُقْبِلُ
عَثَرَتَهُ. وَيُقْبِلُ مَعْدِرَتَهُ. وَيَرْدُّ غِيْبَتَهُ. وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ. وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ.
وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ. وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيُقْبِلُ
هَدِيَّتَهُ. وَيُبْكَفِي صِلَتَهُ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ
حُرْمَتَهُ. وَيَقْضِي حَاجَتَهُ. وَيُقْبِلُ شَفَاعَتَهُ. وَلَا يُحِبُّ مَقْصَدَهُ. وَيُسْتَمِتُ
عَطْسَتَهُ. وَيَرْشِدُ ضَالَّتَهُ. وَيَرْدُّ سَلَامَتَهُ. وَيُطِيبُ كَلَامَتَهُ. وَيُبْرِئُ إِنْغَامَتَهُ.
وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَتَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
وَقَاءِ حَقِّهِ. وَيُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ. وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ. وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ
الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ. فَلَا يَتْرُكُ
وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالِبُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصمغاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانٌ وَلَا عَآمٌ. وَلَا
مُنْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ. وَلَا حُسُودٌ وَلَا حُفُودٌ. وَلَا بَحِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ. يُطْلَبُ

مِنْ خَيْرَاتِ أَعْلَاهَا. وَمِنْ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا. إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ. غَضِضَ الطَّرْفِ. سَخِيَ الْكَفِّ. لَا يَرُدُّ سَائِلًا.
 وَلَا يَبْغِلُ بَنَائِلًا. مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ. مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ. يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَجْرُسُ لِسَانَهُ. وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ. مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ. كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ. وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ. كَثِيرُ الْمَعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْتَةِ. يَنْطَفِئُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ. أَلَا ضَيٌّ مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ. فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للدِّمِيرِي)

٥٧ (وَمِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ:) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبْتُ الْمُلُوكَ عَنْ الْعَدْلِ رَغِبْتُ الرَّعِيَّةَ عَنِ الطَّاعَةِ. (أَفِرْدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ أَجَالِكُمْ فَخَلَدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ. (أَنُوشِيرْوَانُ) الْمَلِكُ إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ يَمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحًا يَبْنِيهِ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ. (أَبْرُويزُ) أَطْعَمَ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَمَكَ مَنْ دُونَكَ. قَالَ ابْنُ
 الْمُنْتَزِعِ:

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَمَادَتْ غُصَّةٌ تُنْجِي بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمُتَنَصُّورُ عَلَى الْفَتْكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ قَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَهْجَلَ
 فَاجَابَهُ الْمُتَنَصُّورُ:

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تَهْمِلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا يُغْدُوهُ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا ظَفِرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَلَحِقٌ وَفَاجِرٌ.
فَالْعَاقِلُ الَّذِي شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ أَلِمْ وَعَيَّ. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
زَلَّ. فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ حَمَلَ. وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ اتَّبَعَتْهُ خَائِفَتُهُ. وَإِنْ
حَدَّثَتْهُ شَانَتْكَ. وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرَعْكَ. وَإِنْ اسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَقْنَعْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَالِحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ رِعَايَتِكَ. قَالَ : مَا هُنَّ. قَالَ :
لَا تَعْدِدْ لَا تَتَّقِ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُخْذَرُوعَرَا. وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْمَوَاقِبَ. وَأَنَّ الْأُمُورَ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عَيْسَى بْنُ دَاوُدَ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِيَّ وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَغَ لُقْمَتَكَ. فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقرظيني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سَمُّ قَاتِلٍ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقِمَا. الدُّنْيَا سَمُّ قَاتِلٍ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلُ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمُّ قَاتِلُ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلُ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الْمُنُومِ الدُّنْيَةِ وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكُفُّهُمَا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكثر المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بُرْزُجْمَرِ حَكِيمِ الْفَرَسِ (قَالَ) : نَصَحَنِي
 النَّصِيحَاءُ وَوَعَظَنِي الْوُعَاظُ شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا فَلَمْ يَعْظِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْئِي وَلَا نَصَحَنِي مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَتْ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ
 الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْضِئْ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَا كُنْتُ الْأَحْرَارَ
 وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرِ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَأَحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
 الْخَلْقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَقَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا مِنَ النَّفْسِ لِنَفْسِهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهَا لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَزَاوَيْتُ الْأَضَاقِ فَلَمْ يَزَحْمَنِي
 مِثْلُ الْخَلْقِ السُّوءِ . وَوَقَفْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبَعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
 شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ
 فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحْرَّ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَالَ بَيْتِي الطُّلَابُ فَلَمْ

يُذَكِّرُنِي مُذَرِّكَ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا أَلَدَّ الْأَثَلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُبْحَانَهُ . وَأَتَمَمْتُ الرَّاخَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئاً أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَنْفِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْ هَوَلاً مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ السِّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّبَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَعَلَبْتَهَا فَعَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الطَّيْبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَلَذَّ مِنَ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنْ
الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئاً أَمْرَ مِنْ
الْقَمْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجِيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قِرْناً أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمَلاً أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يَذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذَلَ مِنْ ذَوِي قَافَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِفْتُ
بِالنَّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . عُمِرْتُ السَّجْنَ وَشَدِيدْتُ فِي الْوَتَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي النِّعَمُ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَمْتُ الْأَخْوَانَ وَأَخْبَتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئاً أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالنَّخَارِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَّالَةٌ إِلَى هُدًى. وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْعُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السَّوِّءِ. وَشِدَّتِ الْبَيَّانَ لِأَعَزِّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرْقًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ. وَلَيْسَتْ الْكُفَى الْفَاحِشَةُ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ. وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُتَخَلَّ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قُمايْصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي أَتَقِ عَثَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشَ تَسَلُّطِ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَهُ الدَّهْرُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
جِزَاءً فَأَتَقِ الْعَوَاقِبَ وَلِلْأَيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانُ مُتَعَبِّبٌ
مُتَوَلٍّ فَأَحْذَرْ تَقَلُّبَهُ . لَيْسَ الْكُرَّةُ فَخْفٌ سَطَوْتُهُ . سَرِيعُ الْعَيْرَةِ فَلَا تَأْمَنْ
دَوْلَتُهُ . وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامٍ إِلَّا تَأَمَّ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّقَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ نَفْسَهُ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نُبُلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صُغِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وُخْشُونَةُ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرَّعِيَّةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِئِ الْمَلِكُ إِسْطِطَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُورِجِبَاتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْهَوِيَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْآخَرَى فَاقَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
وَأَمَّا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَقْرَاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسُ
فَيَسْتَكِنُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ عَلَى
نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ جِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيَمَكِّنُ أَهْلَانِصَ مِنْ
نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ يُحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتُحْصَلُ الصِّمَارَةُ
فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يُحْسِنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَذْيِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرَّيْحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
كَذَلِكَ يَذْنِبِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
لِتِمَتَةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْصَاةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
مُسْتَقِيلٍ . وَيَقْرَأُ كُلُّ مَا يَنْبَغِي بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجْجِي الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
وَاحِدَةً فَعَلِمَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرَّيْحِ)
فَإِنَّ الرَّيْحَ لَطِيفَةُ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتُهَا مَكَانٌ
كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيدِهِ وَعِيُونِهِ
لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَرِفَ مَا يَأْتِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

(وَكَاثِمٍ) إِذَا أَسْتَهْلَ ثَمَاهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسَرَّ النَّاسُ
بِضَوْئِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَبْهَجْتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْجَاسِهِ
رَعِيَّتِهِ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بِعَدْلِهِ . (وَكَاثِمٌ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَاثِمٌ) عَلَى كَيْفَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَاثِمَةُ الْمَوْتِ) فِي الثُّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَتَقَبَّرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَاثِمٌ) فِي لَيْسِهِ لِمَنْ لَا يَنْتَهُ . وَهَذِهِ
وَأَقْبَلَا عِظِيمَ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذَبَهُ (الطَّرُوشِي)

اشعار حكيمه

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاه :

السَّيْلُ يَفْلُحُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الْعَصْرُ يَنْقَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عُبَابَ الْبَحْرِ تَنْظَرُهُ قَدْ أَضْمَلَ فَلَا يَبْقَى لَهُ أُرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرَتْهُ نَحْمَدَا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلَا أَوْ رَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَابَ وَالْكَدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَقَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ النَّفْسَ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرَفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلُودُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِأَكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِيثَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا بِالَّذِي أَنْتَ تَرْضِيهِ لِنَفْسِكَ
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُغْنِيَنَّكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِثْلُ مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعًا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ عَرِقَتْ وَيَفْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مِمَّا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَبْنَمَا زُرْعًا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَلَيْسَ يَخْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرْعًا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنَ مَاهَانَ الْخُرَاسِيُّ :

إِقْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ وَكُنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجٌ
فَلْخَيْرُ أَيَّامٍ الْهَتَى يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ

٦٦ قَالَ الْقَطَايِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُنَآتِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ
وَقَدْ تَفُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَّلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ قَوَّسَتْ
فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْدِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بِشِيرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْعَرِيِّ بِالْخَلْقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِثْلًا
إِنِّي وَإِنْ قَصَرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يَكْلَفُكَ الرُّوحَاتِ وَالْذُّلْجَا
كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَصَرْتُ فِي الرِّزْقِ خُطُوهُ
إِنْ الْأُمُورُ إِذَا أُنْسِدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ
أَخْلَقَ بِيذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخُطُومِ مَوْضِعُهَا
وَلَا يَغْرَبَنَّكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
٦٨ قَالَ الْمُنْتَبِي :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِنَاغُهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَضَعُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامُ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْقَتَى يُذِيبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَّ أَرُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يُجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفِيًّا وَفِي الْفَلَائِكِ بِدَمْعٍ صَيِّبِ
 وَاللَّهُ مَا أَلْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِيَ بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبِ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ
 وَأَنَّ الْفَدْحَ حِينَ يَكُونُ قَرْدًا فَيَهْصُرُ لَا يَكُونُ لَهُ أَقْدَاحُ
 قَالَ آخِرُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبَعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَسَبَ عَلِيٌّ إِلَى آئِنِهِ الْحُسَيْنِ :

أَحْسِنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبُ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمُتَأَدِّبُ
 وَأَحْفَظُ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ يَنْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَغْطِبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ أَلْمَالَ كَسْبَكَ مُقَرَّدًا وَتَتَّقِ إِلَهَكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ إِلَهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَالْأَمَالُ عَارِيَةٌ تَحْيَى وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقُّتِ نَاطِلٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
 وَمَنْ السُّيُولُ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوِّبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ خَشْيَةٍ
يَأْمَنُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
إِنِّي أَبُوهُ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَطِئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجْهَدُ لَعَلَّكَ أَنْ تُحِلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرْهُوَكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلضَّعِيفِ وَكُنْ لَهُ
وَالضُّعُوفِ فَأَكْرِمَ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمُلْقِ السَّامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمَعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قِيلَتْ نَصِيحَتِي
٧٠ وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ بَيِّرُ أَوْلَادِ الدِّينِ كُلِّهِمَا
وَلَا تَضْحَكَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَبِرَّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرَّ الْأَبَاعِدِ
غَفِيًّا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُلَّ الْأَدَى وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ
وَنَافِسْ بِبَذْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكَُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَزُجْ غَيْرَهُ
وَعُضَّ عَنْ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُوَمِّلٍ
وَكُلْ صَدِيقَ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدَهُ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ رَوْدًا
وَأَعْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلْ رَوْدَكَ أَخْفَافَةً وَالتَّقَى
وَأَقِمْ بِعُوتِكَ فَالْفَنَاءُ هُوَ الْغَنَى
وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْوَدَةِ مَا أَلْتَهُمُ الرِّضَا
لَا تَنْفُسْ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقِي فِي مَجْلِسِي
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْفَتَى
وَدَعِ الْمَزَاحَ قُرْبَ لَفْظِهِ مَا رَحِ

فَلَقَدْ تَقَارَفَتَا وَأَنْتَ مُودِعُ
أَتَانِي مِنَ السَّقَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
فَلَمَّا حَقَّقَكَ فِي مَسَايِكَ أَسْرَعُ
وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَنْفَعُ
مَنْعُوكَ صَفَوْ وَدَادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا
وَإِذَا مَنَعْتَ فَمَنْعَهُمْ لَكَ مَنْفَعُ
يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ
فَكُذِّبْ بِسِرِّكَ لَا عِمَالَةَ يَصْنَعُ
قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
وَلَمَّا خَرَقَ سَفِيهِ أَرْقَعَ
جَلَبَتْ إِلَيْكَ بَلَابِلًا لَا تُدْفَعُ

وَحَفَاطَ جَارٍ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَمَّاكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةً
وَإِذَا أُوتِمْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَاخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَأَطِيعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَجْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمَلًا
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَكَلِّفٍ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْمَدُوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَا أَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارَبُّا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحَقًّا
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيُظَالُّ بِمَقْعٍ وَالْمُخْطُوبُ يُتْرَقُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
يُنْبِي عُمُودَ دُرَى الْعُقُولِ الْمُنْطَقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرَقُ

حَتَّى يَحُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
لَا أَتَيْنَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا حَامِلَانِ قَعَامِلُ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عُقُولِهِمْ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقِيَا
سَكَتَ الَّذِي تَبِعَ الْعُرُوسَ مُبَهَّتًا
وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
بَنِي الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
٧٤ قَالَ دِرْزَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
أَذُودَ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
قَدْ يَجْمَعُ أُمَالٌ غَيْرَ أَكْلِهِ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرَ لَابِسِهِ
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
وَصَلَ جِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَى الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّاكَ أَنْ تَرْكَبَ يَوْمًا وَالِدَهُ قَدْ رَفَعَهُ

أَلْبَابُ الْحَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمَ بْنِ صَنْيَعٍ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا طَيِّفَةً وَأَلْفَوْا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُتَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمُرَاحِ . رَبُّ عَتَقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجَهْلَالَ فَلَيْسَتْ لَهُ لِقِيلٌ وَقَالَ . الْمُرَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . غَتَّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَجَارِ الْبَحْرِ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَقَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدُ وَعْدَةِ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ فَرَائِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذْلَ فَلَسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجِدَدَ آمِنَ الْمِتَارَ (لِلطَّرُوشِيِّ)

نبذ من كلام المخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السَّمَّ
أَتَكْلَا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَالَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الطُّابُّ رُشُوءٌ مَنْ لَا رُشُوءَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ
يُخَسَّ رَيْعُهُ . أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ شُومِهَا . وَتَسِيْهَا لَا يَفِي بِشُومِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْخِنَ . لَا بُدَّ الْفَرَسِ مِنْ سَوَطٍ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ السَّوْطِ . شُعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَا . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَأُ . أَعْمَالُكَ
نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُشَيِّخْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْآخِثُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طَوِي لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمُرِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاعِلَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجَلُ مَا لَيْسَتْ
أَلْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَدَنَاتُ . كَفَى بِالظَّفَرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْجَدِّ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَادِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبِّمَا كَانَ خَفُّ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةٌ بِالْبَهَائِمِ وَلَا يَكَادُونَ
يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَخْنَاسِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمْلِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشَجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجَبْنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرِينَ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ قَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجَبْنُ مِنْ صَفْرَدٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرِقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عَوْدٍ . وَأُظْلِمُ مِنْ حَيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذِبُ مِنْ فَاخِتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبَاقِ الْمُقُوقِ . (الْصَّافِرُ)
الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْمَوَادِّ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تُسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَالْفَاخِتَةُ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْقُ مِنْ رِجْلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ .
وَأَثَرُهُ مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسْرُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضِيقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَارَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنَ
الْوَحْيِ فِي الصَّمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (الابن عبد ربه)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٍ تَجْرِي الْمَثَلُ وَهِيَ لَشَرَاءَ مُخْتَلَيْنِ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِنَعِيرِ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَهْصِدُ إِلَى الْبَابِ تَهْدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْلِمِ طَيْبِكَ كُلِّ مَا يَدْرُوكَ أَبْعَدَتْ الدَّوَاءَ عَنِ السُّمِّ
 إِنْ أَخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي فَقَسَّ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدُ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِيَ لِنَفْسِكَ صَاحِبًا فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِيَ لَهُ الْوَدَّ أَثْمَنُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْرَى بِقَدْرِهِ إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ النَّصَا
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِرِزْوَالِهَا فَعَلَامَةُ الْإِذْبَارِ فِيهَا تَقَاوُرُ
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّعَدُهُ مِنْ تَوَهُمِ
 إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدَّ الْحَمَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 تَفَرَّقَتْ عَنِّي يَوْمًا فَصَلَتْ لَهَا يَا رَبِّ سَاطِعَايَا الذَّبِّ وَالضُّبَا
 تَرَقَّبْ خِزَا الْحَسَنِ إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا وَلَا تُخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِي
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَالْأَشْرُ يُسَبِّقُ سَيْلَهُ الْأَطْرُ
 ذِكْرُ الْفَتَى عَمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسَامُ مِنْ قَدَحِ وَإِنْ نَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدَحِ
 الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِمَعَارِضِ يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصْفَلُهُ التَّذَكِيرُ
 سَبْكُنَاهُ وَتَحَبُّهُ لِحَنَّا فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 عَفَاكَ غِيٌّ إِنَّمَا عَفَا الْفَتَى إِذَا نَفَّ مِنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 غَلَامٌ أَتَاهُ الْوُؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أَمْرِ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوِعْنِي
 وَلَا تَجْعَلِ الْحَسَنَ الدَّلِيلَ عَلَى أَلَمِي
 فَالْدُرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صَدَقَ وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرْتِهِ
 لَا رَجُحُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرْمُ
 لَا تَحْسَبِ الْجَدْرُطِبَا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْجَرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدَهُ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
 مَا لِقَوِي عَنْ ضَعِيفٍ غَنِي
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْقَلْبِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْجَهْدُ مَنْ تَهْلُو بِهِ الرُّتْبُ
 الْمَرْءُ نَجِيًّا بِالسَّاقِ وَلَا عَضْدِ
 تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْشِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ
 فَقَالَ خَذُ قُلْتُ كَفَى لَا تَوَاتِبْنِي
 فَمَا كُلُّ مَضْغُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْعَانِصِ
 فَمَا اخْتِيَاكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ رُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكُفْنِ
 فَالْعَيْثُ لَا يَخْلُو مِنْ أَلْتِ
 فَيَارِبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْجَدَّ حَتَّى تَلْمَعَ الصَّبْرُ
 حَتَّى يَرَأَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلَكِنَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ التَّلَبُّ
 وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ
 أَتَى بِمَا أَنَا بَالِكٍ مِنْهُ مُحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كَلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَعَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعَلَى مِنْ طَبَعَةِ الْغَضَبِ
 وَلَا يَعْيشُ بِالْأَوَّلِ وَلَا آدِبُ
 تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْشِفُ الشَّمْسُ جِرْمُ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزَرٍ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
وَمَا تَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مَرْضَا
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَوِّلُ إِلَى بَلَى
وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا
وَمَاذَا أَرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ نَفَخَتْ بِهَا أَضَاءَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَزْنَ لِلْحَزَنِ مَاحِيًا
وَيُمْكِنُ وَضْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَنْشَبُثْ فِي الْعَدَاوَةِ كَفُهُ
يَهْوَى النِّسَاءَ مُبَرِّزٌ وَمَقْصَرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَهَالِجِ الْأَعْمَالِ
وَتَعْجَبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلٌ
سَبَبُ لَجْمَعِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدَصَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةٌ لَا بَسَ
وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادٍ
كَمَا خُطِّفَ فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
حُبُّ النِّسَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَهَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

الْبَابُ السَّادِسُ فِي أَمْثَالٍ عَنِ أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بَازٍ وَدَيْكٌ تَنَظَرَا . قَالَا الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقْلَ
وَقَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُوْخِذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلَكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُؤُوكَ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرَتْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَانِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ فَطَرْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُوْخِذُ مِنَ الْجِبَالِ وَفَدَّ كَبِيرُ سِنِي فَتَخَاطَبَنِي . وَأَطْعَمَ الشَّيْءُ
الْيَسِيرَ وَأَسْهَدَ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسَى الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ . ثُمَّ أَطْلُقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَخِدي فَأُطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَاجِيءُ بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكُ : ذَهَبْتَ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْ رَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفُودِ النَّارِ
مَا عُدْتَ إِلَيْهِمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِدَ تَمْلُؤُهُ دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبٍ غَيْرِكَ (لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ أُخْتِمَ بُرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبُرْغُوثِ :
إِنِّي لَا تَعْجُبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَعُ بَيَانًا .
وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبَنِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْجُوعُ . وَلَا أَزَالُ عَلَيْهِ مَجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَائِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرْعُوثُ : أَنْتَ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنِظَةٌ . وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُونِي

اللُّبَّةُ وَالغَزَالُ وَالْقَرْدُ

٨١ حَكِي أَنْ لُبَّةً كَانَتْ سَاكِئَةً بِغَابَةِ . وَبِحَوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ
أَلَتْ حَوَارَهَا وَأَسْتَحْسَنْتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبَّةِ شِبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَغَفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِغَزَالِهَا
الْغَزَالُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبَّةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوَّتًا
لِشِبْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِبَابِ حُجْرِهِمْ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاِقْتِصَاصِ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ قُوَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَتَسْتَرِجُ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَمَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ نَائِيًا مَعَ مَا تَجِدُهُ فِي
نَفْسِهَا مِنَ الْقُوَّةِ . وَاكْتَدَرَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَأَسْتَلَامُهُ لِأَمْرِ اللَّبَّةِ .
فَأَخَذَتْ ظَبْيًا مِنْهُمْ وَهَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْقَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ الْقَرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تَمْلُعُ عَنْ هَذَا وَتَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أُذَكِّرَهَا عَاقِبَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْخَيْرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ ظَبْيًا
ثَانِيًا فَلَتَمِيهَا الْقَرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا أَمْنُ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ الْبَنِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَقْتَنَاصِي لِأَوْلَادِ
 الْفَزَالِ . إِلَّا كَأَقْتَنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوِّي وَقَدْ
 سَافَهُ الْهَدْرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْهَرْدُ : هَكَذَا اغْتَرَّ الْهَيْلُ بِعَظِيمِ
 جُسْتِهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجِثَّ عَنْ حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ الْبَنِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
 فَقَالَتِ الْأَبُوءُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْهَرْدُ : ذَكِّرُوا أَنَّ قُبُورَةَ
 كَانَ لَهَا عَشٌّ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
 وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَضِّ الْأَيَّامِ عَلَى عَشِّ الْقُبُورَةِ .
 فَبَيْنَ ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبُهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْعَشِّ وَوُطِئَهُ وَهَشَمَ
 رُكْنَهُ . وَأَتَانَفَ الْبَيْضَ وَأَهْلَكَ الْفِرَاحَ . فَلَمَّا نَظَرَتِ الْقُبُورَةُ إِلَى مَا حَلَّ
 بِعُشِّهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْهَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
 رَأْسِهِ بَاكِيَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي
 وَهَشَمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي فِي جَوَارِكِ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
 اسْتِضْمَاقًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْهَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ .
 فَأَنْصَرَفَتِ الْقُبُورَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْهَيْلِ
 فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَمَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْهَيْلِ وَتَحْنُ طُيُورُ . فَقَالَتْ
 لِلْعَمَاقِقِ وَالْفِرْزَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
 عَيْنِي . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
 وَمَضُوا إِلَى الْهَيْلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَّبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَتَرَوْنَ عَيْنِي إِلَى
 أَنْ قَتَلُوهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ طَعَمِهِ وَلَا مَشْرِيبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقَيْلِ . فَقَالَتْ
 الضَّفَادِعُ : مَا حَيَاتُنَا مَعَ الْقَيْلِ وَلَسْنَا أَكْفَاهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقْنَنَ
 تَصْنِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتُكُنَّ لَمْ يَشْكُ أَنْ يَهَامَءُ فَيَكِبُ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَيْلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْكُمَةِ
 تَوَهَّمُ أَنْ يَهَامَءُ . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكْبَأً عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتْ الْقُبْرَةُ تَرْفُفٌ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَقْتَرِبُوتُ الصَّائِلُ عَلَى ضَنْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُسْتِي . وَبِلَادَةِ قَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبَغِيِّ وَالْمُدْوَانِ . وَمُسَالَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْقَيْلُ مُسَاكًا لِحَوَاهِمَا .
 وَلَا طَرَفًا لِحَاطَمَاهَا . فَلَمَّا انْتَهَى الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ الْبُؤْسُ مِنَ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَنْهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْفَزَالَ اتَّقَلَّ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَبْتَغِي لَهُمْ جُحْرًا آخَرَ . وَإِنَّ الْبُؤْسَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَرَكَتْ شِبَاهَا . فَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَرَكَتْ لَحْمُهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْبُؤْسُ وَرَأَتْ شِبَاهَا
 مَقْتُولًا مَسْلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا قَظِيمًا . فَأَمْتَلَاتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاحَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دِهَالُكَ . فَقَالَتِ الْبُؤْسُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَخْزِعِي وَلَا تَخْزِنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَلَيْكَ. فَكَمَا يَدِينُ الْهَتَى يُدَانُ. وَجَزَاءُ الدَّهْرِ عِمْزَانُ.
وَمَنْ بَذَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَمَقْدَرُ بَذَرِهِ يَكُونُ الْبَثْرُ. وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَمْنٍ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ. وَإِنْ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تُنْجِزَنِي مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ. وَأَنْ تَنْدَرِعِي لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ. فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ: كَيْفَ لَا
أَجْزَعُ وَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهَّةُ الْفِكْرِ. وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ. فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ: أَتَيْتَهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُغْدِيكَ
وَيُسْشِيكَ. قَالَتْ: لَحْمُ الْوُحُوشِ. قَالَ الْقَرْدُ: أَمَا كَانَ لِنَاكِ
الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتُ نَأْكُلُهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ. قَالَتْ: بَلَى. قَالَ الْقَرْدُ:
فَمَا بَالُكَ لَا تَسْمَعُ لِأَوَّلِكَ الْآبَاءِ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصَرَاحًا كَمَا مَعَ
مِنْكَ وَلَقَدْ أَزَلَّ بِكَ هَذَا الْأَمْرُ جَهْلَكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمَ تَفَكُّرِكَ فِيهَا.
وَقَدْ تَصَحَّحْتَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ. وَأَلْخِثْتَ بِنَفْسِكَ الْعَارَ.
وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ. وَسَطَوْتَ عَلَى الطَّبَائِصِ الضَّعَافِ.
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ قَالَتِ اللَّبْوَةُ: وَجَدْتُهُ
مُرًّا الْمَذَاقِ. وَلَمَّا عَلِمَتِ اللَّبْوَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّؤْمِ. وَصَارَتْ تَتَّقِعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيئَةِ الْقُلُوبِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَتَمَنَّى التَّفَكُّرَ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حُكِي أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ تَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَعَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَقِفَّ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ .
وَبَذَلَتْ الْعُقَابُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأَوَّلَى .
وَعَدَتْ الدَّوَالِبُ عِدْمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا سَمِعَتْهَا مِنَ التَّعَجُّبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
وَأَقْوَمًا لَا يُبَدِّئُ وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى اخْتِيَا
وَطَفِقَ أَلْوَجُهُ يَبْتَغِي عَنْ هَذَا الْقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتْ الدَّوَالِبُ
وَالْعُقَابُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ يُسْمَعُ مِنَ الدَّقَاقِ
بِاسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَأُ عَلَى نَهْشِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلَيْتُ مِنَ الدَّقِ . فَلَمَّا سَمِعَتْ السَّاعَةُ
مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ التَّنِيطِ . وَقَالَ لَهُ أَلْوَجُهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سِلَاقِ ذِي كَسَلٍ . فَاجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَيِّدِي
أَلْوَجُهُ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ دَافَعْتَ عَنْ نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يُسْأَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَالًا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَخْدُثُ فِي الْمَطْبُخِ . وَوَدَّتْ لَوْ كُنْتُ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكِ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ حَيٍّ وَذَهَابٍ يَوْمًا بِدَوْنِ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَكْتُ هَذِهِ الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرَدَدْتَنِي شَرْحًا . فَأَنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّخْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوُحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَمَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَرَبُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعُدَدِ وَقَالَ بَدِيهًا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَلْبِغِي لَكَ فِيهَا الْحُجْبُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ مَرَّةً . فَقَالَ الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصِي قَدْ رَفَعْتَ لَكُمْ) يُحَالُ أَنْ تُجَرِّدَ التَّفَكُّرَ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا إِنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي صَرْبِ دَقَائِقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنٌ عَظِيمٌ وَعَزْزِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَحْيَلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا زَوَّيْتَنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَثَّمُ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ بِجَلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْغَرِيبُ إِنِّي لَهِيَ تَعْجِبُ عَظِيمٍ مِنْ أَنْقِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لَيْسَلِ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ بَقْتَةً . نَعَمْ إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عَمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيمَةً كَمَا عَلِمْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنْ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَخَدُّهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَخْضَنُ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْأَمْنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِتَبْصُحَ مَعْدِنَاقُ مَا قُلْتُ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حِينَئِذٍ : نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبَدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَهَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَالِي وَتَجَرُّبِي لَمْ يَنْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ
 أَلُوفٍ وَأَلُوفٍ أَلُوفٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُذَبِّحُ لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ تُتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَلُوفِ
 بِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ . وَأَمَّا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَإِنَّهُ هُوَ مُبَاشَرَةُ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لِأَعْيُنٍ . ثُمَّ تَهْمَا لِرَمْلِكَ بَنَدُهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْتَسَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتْمَامِهِ . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالٌ فِيَّ وَأَمَّا أَنِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَنَدُ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَثْقَالَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْخَفَةِ مَا بَرَحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوْرَانِ . وَطَفَعَتْ الْقَارِبُ تُسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْنِجِ الْمُتَلَقِّ مِنْ كَوَّةٍ فِيهِ أَمْتَلَا الْوَجْهَ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَعْيِيسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا رَزَلَ إِلَى الْمَطْنِجِ لِيَقْطُرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمَرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةِ الَّتِي بِحَيْثِي تَأَخَّرْتُ فِي السَّيْرِ لَا يَنْجُو إِلَّا تَيْنِ دَقِيقَةٍ

قِرْدٌ وَغِلْمٌ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكُ الْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ
وَمَرِمَ . فَوُتِبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ
مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً
تَيْنِ فَارْتَقَى إِلَيْهَا وَاتَّخَذَهَا لَهُ مَقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ
ثَمَرِهَا . إِذْ سَمِعَتْ مِنْ يَدِهِ تَيْنَةً فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِقَاعًا . فَجَعَلَ
يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ فَانْكَرَ مِنْ تَطَرُّجِ التَّيْنِ فِيهِ . وَكَانَ
ثُمَّ غَيَامٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تَيْنَةٌ أَكَّهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرُغَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَآلَفَ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغِلْمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَجَبَزَتْ
عَلَيْهِ وَشَكَّتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ
لَهُ عَارِضٌ سَوَاءٌ فَأَغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوَّجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ آلَفَ
قِرْدًا وَآلَفَهُ الْقِرْدُ . فَهُوَ مَوَالِكُهُ وَمُشَارِبُهُ وَبِحَالِهِ . ثُمَّ إِنَّ الْغِلْمَ انْطَلَقَ
بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةً أَحْزَانًا مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا :
مَا لِي أَرَاكَ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا : إِنَّ قَرِينَتَكَ مَرِيضَةٌ مُسْكِينَةٌ . وَقَدْ
وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْقَيْلَمُ : مَا تُبْطِنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ نَتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنَزِلِي .
 فَأَتَانِي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَثْمَارِ . فَأَرَكَبُ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَزَلَّ فَأَمْتَطَى مَطَا الْقَيْلَمِ . حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فُجِعُ مَا أَصْنَعُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَكَسَّ
 رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . فَقَالَ الْقَيْلَمُ : إِنَّمَا هُمِّي
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِيبَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أَتِيَنَّكَ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنْ الَّذِي
 أَعْتَقَدُ مِنْ جَرِّصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْتَهُ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْقَيْلَمُ :
 أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَمَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَسُ الْقَيْلَمُ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ أَمِنَّا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفُ
 وَأَسْرَعُ تَغَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَيُقَالُ : يَذْنِبِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَقُولَ عَنِ التَّمَاسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَابَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيَّةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
 ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَتْمًا ظَهَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بِاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ لِلْقَيْلَمِ : مَا الَّذِي

يَحْسُدُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنَزِلِي فَلَا تُؤْنِي أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ أَلْهَمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اتَّمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : رَأْسُوءَ تَاهٍ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْجِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورِطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْفَانِعُ الرَّاغِبُ مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْجِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ اخْتَبْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 التَّمَسُّكِ الْخُرُوجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَعْلِمَنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيزَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرَ تَأَلَّى حُرْمَ الْمُرُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَّتْهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَهَرَحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَتَبَّ الْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أَحْمِلْ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَثَمَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هِيَئَاتِ
 وَلَكِنَّكَ اخْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِبَيْتِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكَتْ

فَارِطًا أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْعِلْمُ : صَدَقْتَ . إِنْ أَرَجُلُ الصَّالِحِ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذِنَ
ذَنبًا لَمْ يَسْتَحْيَ أَنْ يُوَدَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَأَرَجُلٍ الَّذِي يَعْتَرِ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . هَذَا
مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كَلِيلُهُ وَدَمْنُهُ)

الضم والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فَيَانُ فِي صَيْدِهِمْ . فَأَنَارُوا ضُبْعًا فَتَفَرَّتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَبَعُوهَا . فَلَجَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسُّيْفِ مَسْلُولًا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنِّي أَسْتِجَارَتِي فِي
مَحَلِّهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرُ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَيَجْعَلُ يَسْقِيهَا
الْأَبْنُ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى تَمُوتَ وَحَسَدَتْ حَالَهَا . فَيَنَامُ هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرَبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُبْلِقُ الَّذِي لَا قِيَّامَ لَهُ بِحُجْرٍ أَمْ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا أَسْتِجَارَتِ بِقُرْبِهِ . مَعَ الْأَمْنِ أَلْبَانَ الْقَلَّاحِ الدَّرَائِرِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كُنْتُ قَرْنَهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَطَافِرِ
فَقُلْ لِلَّذِي الْمَعْرُوفُ هَذَا جَرَاهُ مَنْ يُوَجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذنب وغراب وابن آوى وجل

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنْ رُعَاةَ مَرَوْا بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ . فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجَمَةَ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقَسِّمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخَصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ ضَمَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَطَائِبَ الصَّيْدِ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكْدُ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ جِرَاكَو حَرَمَ طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَقَوَاضِيهِ . فَأَجْعَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَخْبَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا تَهْمُنَا
أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ
الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَنْشَبُوا أَعْيُنَكُمْ تُصِيدُونَ
صَيْدًا فَأَخْشَبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَخَوُّوا نَاحِيَةً وَأَنْتَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَهَذَا
الْأَكِلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ بِنَ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا .
أَلَا زَيْنٌ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا يَمَّا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لَنَا بِنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقَنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مُحِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكْلُ الْعُشْبِ الْمُتَبَرِّغِ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُنْتَبِئُ بِصَلَحِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَتَعَبَرُّ مَقَالِكَ وَأَبْهَدُكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تُجْتَرِي عَلَى يَهْدِهِ الْمَقَالَةُ
 وَتَسْتَفِينَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَلْنُكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسٍ خَائِفَةٍ وَحَقَّنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ آمَنْتُهُ وَلَسْتُ
 بِالْعَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ
 الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْيَتِّ . وَأَهْلُ الْيَتِّ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ زَلَّتْ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَفَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ نَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِجِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَهْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عِنْدَ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِ الْجَمَلِ . عَلَى أَنْ يُجْتَمَعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتَمَامًا مِمَّا بَأَمَرَهُ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا نَفْسُهُ عَلَيْهِ . فَبَرَدَهُ الْآخِرَانِ وَيُسِفُهُ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْبَاهِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ اخْتِجْتُ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُبَوِّدُكَ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا أَهْلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِمَّا بَعَثَ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ أَسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبِعُ الْمَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ : إِنَّكَ مِنْتَن قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَاكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ اتَّمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا اتَّمَسَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طَيْبٌ هَنِيءٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمِ
أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ . وَتَذْ سَحَتْ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

لجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ لِذئْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِطَلَبِ صَيْدٍ . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرُ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتْ
السَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قُطْعًا مِنْ الضَّانِ .
وغيرها بَعْضَ جِدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَةُ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَذْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومِ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَحَفِّظًا . وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئْتِهِ
مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْخِرْصُ وَالشَّرُّهُ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقُ . وَلِلذَّئْبِ عَاتِقُ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذَّكِيُّ .
فَأَذْرَكَهُ الذَّئْبُ النَّشِيطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمْلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيُ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرُ قَصَابِ الْبِلَادِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَخْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسَهُ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرَطَةِ الْوَلِيلَةِ . إِلَّا مُنِيتُ الْحِدَاعِ وَالْحِيلَةِ . وَأَذْكُرُهُ مُذَكِّرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي آيَسَ نَافِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَتَمْدَمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيِ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجَكَّ
أَرَاعِي . لِحَبَابِكَ دَاعِي . يُسَامُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صِدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحِسْمَتَكَ وَمُرَاقَبَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ بِحُسْنِ

إِبَانِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَانِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضَعْفَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِعِصَابِنِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفَزَعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجَزَعِ . فَسَيَجْعَلُ جِوَارَكَ رِغِيَا ضَاكٍ
 أَحْسَنَ مُسْتَحْتَجٍ . لِأَنَّ ضَعْفَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ . وَانْتَشَتْ
 وَقَوِيَتْ . فَأَرَادَ مَكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مَصَادِفَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَتَيْتَنِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي النَّعَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغَدَاءِ . فَإِنْ أَقْبَضَنِي رَأْيُكَ
 الْأَسْعَدُ . غَنَيْتُكَ غِنَاءً يُبْذِي أَبَا إِسْتِخَاقٍ وَمَعْبُدٍ . وَهُوَ ثِيَابِي لَمْ يَغْفَرْهُ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْنَاؤُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُتَوَوَّى كَرَمُكَ .
 وَشَهْوَتُكَ وَقَرَمُكَ . وَيُطِيبُ أَكْلَكَ . وَيُؤْنِسُنِي مَأْمَلُكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذُ . الَّذِي لِلْجَائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيذٍ . وَخُبْزَ سَمِيذٍ . وَلَامَطَاشَانَ مِنْ قَدَحِ
 نَيْذٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتِنَاكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالكَ .
 فَغَنَّ مَا بَدَأَكَ . فَرَفَعَ الْجَدْيُ عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الْعَرَاخِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَشَدَّ :

رُغْصُورُ الْحَشَايَهِ وَى جَرَادَهُ . كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَأَهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَازَلَّ عَجَبًا وَعَجَبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْغَنَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَهْمِ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّيْرِ . فَهَذَا أَتَجَلَّتْ
 الْبَلَابِلُ وَالزَّرَارِيرُ . وَزِدْنِي يَا مَعْنِي . وَعَنْ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقَرُّ هَذَا الزَّمَانَ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَنْتُمْ الْجَدِيُّ الْقُرْصَةُ
وَأَزَاحَ بِيَعَاظِهِ الْقُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَايَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَادَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا نَفْتَاقُ . وَقَالَ :

فَقُورَاهُمْ أَنْظَرُوا حَالِي أَبُو مَذَقَّةَ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالْمِطْرِقِ يَبْدُو . فَلَمْ يَشْعُرِ الذِّبُّ الدَّاهِلُ .
وَهُوَ يَحْسُنُ السَّمَاعَ غَافِلُ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلُ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْقَنِيمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجَدِيَّ
وَأَفَلَتْ . وَتَجَاوَزَ سَيْفُ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَلَقَّتْ . وَأَقْبَى يَعْصُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الدَّاهِلُ . الْأَخْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقُبُورُ وَالْأَوْرَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ قَانِ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدٍ جَانِ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَالِكِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَدِيدُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِبًا
تَتَلَوَّى . وَبِحَجَرَةِ قَوَاتِ الْقُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِقُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَاوَاهُ . وَكَانَ أَتَقَطُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلِفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمِلَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْفَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَضْطِّبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَادِلِ الْقَارِ عَمُرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَأْوَى لِرَأْسِ الْجُرَذَانِ . وَبِجَوَارِهِ
مَخْرَنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرَذُ لِيُضْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ تَهْلِيلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْإِطْ أَمِنًا وَيَخْتَلِكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَتَى سَلًا
وَكُرَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخَوَارِفِ وَالْمَزَاجِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْحَيْرَانِ . وَاسْتَمَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ عَلَى الْمَسْدَوَانِ .
وَأَفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْقَطْ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُرَائِيًّا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِتِّحَالِ . وَضُفِّ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا أَتَمُّ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْقَدَارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارُ . فَرُبَّمَا يَبُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَارَ يَنْهَبُ وَيَرْبُ . وَيُعْطِي مَا سَابَ . وَيَرْجِعُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطُّ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيُشَوِّقُ قَلَمَهُ . وَيَعُودُ
حَتْمَهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقَهُ . فَلَا يَقْرَأُ لِي مَعَهُ قَرَارُ . فَأَضْطَرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السَّكَنُ الْمَعْرُوفُ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْاِقْتِصَاصِ .
ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ اِتِّخَاصًا لِاسْتِدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا اَلْبَاسِ .
فَأَدَّاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَرَّ بِوَاسِطَةِ الصِّلَحِ إِسَاطُ الْإِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
يَتَرَبَّ عَلَيْهَا الْعُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَفْعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ مِنَ الْعُودِ .
وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَبِيرُ الْجُرْدَانِ فِي كُلِّ عِدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
الْعِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ أُمَالٍ مَا
وَقَيْتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَبْحَ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاةِ الْهَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
مِنَ الْخُبْرِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
بَنَاطِلِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ الْهَرَمِ . وَسَامَ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبَرِّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْإِشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُ عَلِيَّ . وَيَنْظُمُ
لَدِيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْأَضْطِرَارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
الْجَهْدَ وَالضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَأَوَّلَ الْفُطُ
مِنْ تِلْكَ السَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
إِنْ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقُوقِ . مِثْلُ مَا لِلجَارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَارِ اأَشْنُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالْمُصَادَفَةِ . وَتَثَبَّتَ الْحَبَّةُ بِالْمَوَاقِفَةِ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكُ مِنْ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْخُصْلَةَ
الَّذِي مِمَّةٌ . وَنَسْتَأْنِبُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمُهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكُرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْسِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْثَرَ مَثَلًا . مَا يُعْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَةً . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكَرَكَ وَرَغْبَتِي فِي
صُحْبَتِي . وَعَاوَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأكَدْتُ ذَلِكَ لِي
بِمُعْلَظَاتِ الْأَيَّامِ حَتَّى أَتَوَقَّنَ بِأَسْتَصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ أَمَانًا فِي تَحِيكَ
وَذَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ خَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَأَتَانِي التَّرَمُّ لَكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُنَبِّئُ مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَغَدًا وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْمِرُّ هَذَا الْبَرَّ . أَعْجَبَتْهُ هَذِهِ
النِّعَمُ . وَأَطْرَبَتْهُ هَذِهِ النِّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقِطْعَ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا التَّرَمُّ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقِطْعُ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقِطْعِ دَيْكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلٌّ مِنْهُمَا يَأْتِسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدَيْكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَقْبَلْ لَهَا لِقَاءً .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْ الْقِطْعِ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

الَّذِيكَ : بِمَا ذَا رَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِمُخْبَرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
مِنْ أَعَزِّ الْأَصْدِقَاءِ الْحَيَرِينَ الْأُمَنَاءِ . فَصَحَّكَ الذِّيكُ مُسْتَرْبَاً . وَطَفِقَ
يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ مُتَعَجِّبًا . فَقَالَ لَهُ : يَمُّ تَصْحُوكُ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَاطِنِكَ .
وَأَنْفِيادِكَ لِمَدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَايَتِكَ وَخَدَائِعِكَ . وَمَنْ
يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . الْوَاجِبِ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُتَقْسِدِ الْفَاسِقِ .
الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى آمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تُحِلُّ عَهْدَهُ . وَتَقْضِي
عَهْدَهُ . وَتُثَبِّتُ الْإِيمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
يَرَوْكَ مَا يَسُرُّهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حُسِرَ
وَنَادَى . وَجَاهِرَكَ بِالْشَّرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ الْوَاصِلُ إِلَيْكَ . لَمِتْ هَذَا
وَجُوعًا . وَلَمَّا عِشْتَ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَاقَاكَ . وَصَفَاكَ وَصَافَاكَ .
وَهَلْ تَعِمَّتْ أَنْ جُرْذَا صَادِقَ هِرَّةٍ . أَوْ اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مُرَاقِقَةٌ . فَمَا صَحَّةُ
الْقَطْرِ وَالْقَارِ . كَصَادِقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ انْقِطَاعَ هَذَا الْكَلَامِ . تَأَلَّمَ
خَاطِرُهُ بِبَعْضِ إِيْلَامٍ وَقَالَ لِلذِّيكِ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرُ . فَقَالَ : لَقَدْ عَرَفْتُ الْجُرْذَ بِلَقِيمَاتِ
مِنْ الْأَحْرَامِ . وَاسْتَحْتِ الْمُنْعَمِ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
الْفَحِّ . فَلَا تَشْعُرْ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْمُسْخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَتَشَفَّعُ فِيكَ

وَلَا أُخْ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْنَاكَ عَلَى مَا قُلْتُ
إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ بَيْدِقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْإِطِّ
فَهَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنْ هَذَا الدِّيكُ مِنْ حِينِ
أَنْفَلَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ . وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الْمِدَاقَةِ فِي رَوْصَةٍ . مَا وَقَفْتُ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعْتُ أَنَّهُ لَيْشِيءٌ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبَدٌ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُعْشَرَ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوِيلَتِهِ دَلَالَةٌ تُدْخِرُ . قَوْلَ : نَعَمْ .
وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُنْخَفِضَ الرَّأْسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِيَةٍ . أَوْ تَزُولَ
مُصِيبَةٍ صَائِيَةٍ . مُتَلَقِّيًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
يَتَنَبَّأُ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْمَحَاوِرَةِ . وَالْمَنَاطِرَةِ رَأً الْمَشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَثْرَافَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
غَزْوَانَ . فَخَسَّ وَهَمَرَ . رَوَّقَتْ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَأَشَارَ زِلْزُلَتِهِ الدِّيكُ وَأَتَمَّعَ . وَأَتَمَّضَ رَأْيَ الْإِطِّ . فَأَرْتَدَّ
الْجُرْدُ مِنْ شَيْخِ الدِّيَكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَأَتَمَّشَ وَأُزْوَى .
وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَأَلْتَفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلنَّهْرِ أَرْمَجَالًا .
وَالْقَطِطِ يَرِاقِبُ أَحْوَالَهُ . وَيَمِيزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُتَقَبِّحِ . وَهُمْ وَالْكَفَّهَرُ . وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَأَزْبَارُ .

وَلَسِي الْهُودَ وَالْأَيَّانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الدَّوَاةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ .
فَوُتِبَ عَلَيْهِ وَأَدْبَحَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَالَمٌ بَنَضَ عَيْدِهِ الصَّلَاحُ مَنْطِقُ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هَذَا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدَّدَا . فَقَبِي بَنَضِ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهُدْهِدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مَا نَبَتْ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالسَّبْحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّلَاجِ وَالْقَبَاءِ وَالْدِّيَاجِ لَا تَقْعُدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدٍ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الْجَلَاهِقِ . فَقَالَ الْهُدْهُدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسْلُوكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْهُودِ فِيهِ .
مَعَ عَلَيْكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَيًّا وَأُظَنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ رَحًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَتَيْنِي . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَنَرِّجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحْحِ إِلَيْهِ . وَأَتَجَبُّ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَغْطِيلِ لِمَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّمْعِ . وَأَمْتَحُرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَتَبْهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعِلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرُّجُلَ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَانْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُدْهُدَ فِي يَدِ الصَّيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْضُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلٍ يُهِنُهَا تُقَالِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَأْمُرُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرْقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
فَسَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عَبَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَّادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ اللَّهَ هَدَى إِذَا
نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ ثَغْرَةَ الْفَحِّ
وَلَا مَا وَرَاءَهُ . وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لَمَّا عَوِيَ
وَأَغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ يَمُنُّ أَشْهَرُ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرُ . وَأَنَا لَمَّا
أَغْتَرَرْتُ بِحِدَّةِ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يُجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ
أَسَدِ بَصَارِي فَوْقَتْ فِي فَحٍّ أَغْتَرَارِي

مالك الحزين والسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ . مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَعُذْرَانُ . بُضَاهِي رِيَاضِ الْجَنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَا وَخَيْرٍ . مُذْجِي
الْأَوْقَاتِ . بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَالْعُذْرَانِ لَمْ يُخْرَجْ إِلَّا وَفِي مِنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنْهَاءِ . تَسَرَّعَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغَدَاءِ .
وَأَزِيحَ لِقَوْتِ قُوَّتِهِ أَبْوَابُ الْعِشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلُكُوتِ . يَطْلُبُ مَا كَسَدَ الرَّمَقُ مِنَ الْقُوْتِ . فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنَ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحَوْتِ . وَآمَدَ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيَالٍ . فَنَاضَ يَوْمًا فِي الرِّقَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنْ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَطَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ أَلْتَمَعَهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَقْبَلِيعَهَا . فَصَدَّ إِلَى أَيْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
أَسْتَفْرَاجِهَا فِي رَمْسِهَا . فَتَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدُمُهُ . وَالْعُصْفُورُ وَدَسَمُهُ . أَسْمَعُ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ نَحْمُرُنَا
فِي صَوْنِهِ أَهْضَى . لَا تَجْعَلْ فِي أَيْتِلَاعِي . وَلَا تُسْرِخْ فِي ضِيَاعِي . فَبَقِيَ
بَعْدَ ثَلَاثِي قَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
الْمَلِكُ نَالُ كُلِّ عَيْدِهِ وَرِعِيَّتِهِ . وَوَاجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي أَيْتِلَاعِي كَبِيرُ فَايْدَةٍ . وَلَا أَسْدُ
لَكَ رَمْتًا . وَلَا أَشْغَلُكَ مَعْدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَقْفِرَنِي فِيمَنْ
أُحِبُّ وَلَا أَسْتَغْنَى . فَالْأَوَّلَى أَنْ أَقْرِ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
فَأَكُونُ سَبَبًا لِعُتُودِ الْمَصَادِقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُرَافَقَةِ .
وَيَعْمَلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْإِمْنَةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
أَعْتَمَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطِئْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَّلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ زَيْمَانَ وَدَكَاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مُمْنُوعَةٍ وَلَا مَطْوَوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَدٍ تَحْمَلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا النُّجُونَ . أَغْرَاهُ
الطَّمَعُ . فَمَا أَيْتَلَعَ . بَلَّ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعِيدِي هَذِهِ الرِّمَّةَ .

فَبَجُرْدٍ مَا فَتَحَ قَاهُ بِالْهَمْزَةِ . اُتَمَلَّصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْزَةٍ . وَغَاصَتْ
فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّاعُ .
إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
لِتَتَأَمَّلَ عُمِّي أَمْرَكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
مَبَادِيهِ . فَهَذَا قِيلَ : أَوَّلُ الْهِكْمِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والتملص

٩٠ . كَانَ فِي بَضِ الْأَمْرِ لِلرَّائِسِ دِيكَ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدِيكَ .
مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ قَوَارِيحَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَوَقَفَنِي عَلَيْهِ
مِنَ الْأَمْرِ سُنُونُ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُؤُونِ . وَقَلَّسَى
حُلُوهَ وَمُرَهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِثَمَائِبِ شَبَابِكَ مَصَايِدَ .
وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَنِيهِ
نَوَائِبَ وَشِدَائِدَ . وَخَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَمَائِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
كُتُبِ جِلْمَاهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
فَأَتَقَى لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَّ عَلَى بَضِ الْجُدْرَانِ . فَخَظَرَ
فِي عِطْفِهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خِيَالَ تَاجِهِ الشَّقِيقِي .
وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِي . وَنَفَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنَشَّ . وَسَرَاوِيلَهُ الْمُنَشَّ .
وَالثُّوبَ الَّذِي رَقَمَهُ نَفَاسُ الْمُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرِقِشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
نَفْسُهُ . وَآذَنَ فَاطِرَهُ جِسْمُهُ فَصَارَ يَدُهُ وَيَجْتَرُّ . وَيَتَصَفَّ
وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ الشَّمْسِي سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيْعَةِ . فَصَمِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتُهُ بِالْأَذَانِ . فَأَنَسَى
صَوْتُهُ الْكِتَابِيَّ وَاللَّهْمَانَ . فَسَمِعَهُ ثَلَاثًا . فَقَالَ : مَطَابٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةً مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ قَسَمًا عَلَيْهِ . فَأَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . فَطَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُذْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْإِخْوَانِ . وَقَالَ : أَنَعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوفَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصُّبْحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنْ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْقَوْتِ . وَمَصَائِبَ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِإِسْلَامٍ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أُنْسِي مِنْ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجَحُ مِنْ الْوِلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّبِعُ نَظِيرَهَا إِلَى
لَاخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدِ اللَّهِ بِدَوْلَتِهِ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمَرَ مُتَادِيًا فَغَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَاجْرَأَ مِيَاهَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّخْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنْ
تَتِمَّلَ الصَّدَاقَةُ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنْ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَاتَانِ . وَلَا
يَتَمَصَّرَ فِيهَا عَلَى جَنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبَهَائِمُ وَالضَّبَاعُ . وَالْأَرْوَاحُ وَالنَّعَامُ . وَالصَّقَرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالذُّونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبْوَاقُهُمْ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحَسَنُ

الْمُعَاشِرَةِ وَالْمُرَافِقَةِ . فَتَحْنِي مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوسُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقِقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعُقَابُ . وَيَبِيتُ الْمُضْهُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرْغَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْبِ . وَيَتَأَخَى الدِّيكُ وَالثَّلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْهَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْخُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمُرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمَصَادَقَةُ . وَتَتَفَتَحُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالرَّافِقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مِّنَّا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّلَبُ يُقَرِّرُ هَذَا الْقَالَ . وَالِدِيكَ يَتَلَفَّتُ إِلَى
 هَذَا الْمَذْيَانِ وَالْجَبَالِ . فَقَالَ الثَّلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أَبْشِرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفَقْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَامِيسُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَتَلَفَّتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسَرُّ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَتَلَفَّتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تَعُولُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بَعْدِ لَيْثِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتُطْلِعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَهَالَ : أَرَى عَجَابًا ثَارًا . وَنَفْعًا إِلَى الْعَنَانِ قَاطِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 أَلْبَرَقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ
 أَبُو الْحَصَنِ : وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا اللَّهُ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانٌ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا أَحْتَلِ تَحْتَهُ . وَلَا أَلْزِمُ تَسْبُغَهُ . فَرَجَعَتْ قَوَانِمُ الثَّعْلَبِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبِ . فَقَالَ أَبُو الْمَذَرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحْتَقَ
رُؤْيَيْهِ . وَأَتَبِينَ مَاهِيَتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرَفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا النِّجْمِ . يُخْلِفُ النِّجْمَ فِي الرَّجَمِ . فَقَالَ : أَخْذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ التَّلَاجُ الْعَمِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَاقِي

فَقَالَ أَلَدَيْكَ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَحْجِيَ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ .
وَتَقْدَمَ بَيْنَنَا عُقُودُ الْمَصَادِقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقِهِ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . قَدَعْتَ عَنْكَ الْحَاجَّةُ وَاللَّجَاجَةُ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَا
قَابَلَهُ أَمَّاكَ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالْأَصَابِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُورُومَ . لَمْ يَتْلَفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَّاصِ جَانِبًا

لِلْجَمَلِ وَاللَّح

٩١ كَانَ جَمَالٌ فَفِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ . وَيَتَوَتُّ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاخَةِ .

فَحَدَّثَ فِي تَفْصِيلِ الْأَحْصَالِ . وَمُلَازِمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَنْقَالِ . إِلَى أَنْ آلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالُ لَا يَرِقُّ لَهُ بَحَالُ .
وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِقَالِ . فَفِي بَمَضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَى عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ اشْتِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخَزْرُ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يَقَاسِيهِ مِنْ عَذَابِهِ وَنَكَالِهِ . وَأَنَّ الْخَلَجَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ نَضْرِ هَذَا الدَّمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتُ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخِلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْاِقْتِصَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْاِزْتِهَاصِ وَالْاِزْتِصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلِ كَالرَّصَاصِ . فَهَلْ يَتَرَضُّكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةٍ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَدَّتْ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرَكَ فِيهِ وَتَمَرَّغَ . وَتَوَصَّلَ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَفَرَّغَ . وَاسْتَمَرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْخَلَجَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكِرَّرَ هَذِهِ الْحُرْكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فَأَمَّا أَنْتُمْ يُنِيرُونَ
حِمْلَكُمْ أَوْ يُخَفِّفُونَهُ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْمَقُونَهُ . فَتَعْمَلُ
الْجَمْلُ لِلْأَرْبِ الْمُنَّةَ . وَشَفَّ بِدَرِّ هَذِهِ الْفَائِدَةِ أَذْنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْجَمْلُ الْمَهْمُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْخَاصَّةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْتَرَك . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ انْتِهَاصَهُ . وَخَرَجَ مِنَ الْخَاصَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
الْعُمَادَةَ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْجِيلَةَ .
فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَاهِيَةِ وَيْلَةٍ . وَعَمِدَ إِلَى عَيْنِ مَنْشُوشٍ . وَغَيَّرَ فِي مَقَامَرَتِهِ
شَكْلَ النُّشُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَّطَ
عَلَيْهِ الظُّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنْ الْمَاءِ مَا يَلُأُ الْبَرَكَ . ثُمَّ أَرَادَ
النُّهُوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَامَ مِنَ الْمَشَاقِ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
هَذَا الْفَكْرُ الْوَيْلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِأَضْعَافِ الثَّقِيلِ . فَسَاءَ
مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَذْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
وَأَمْثَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَعْبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا
الْمَثَلَ عَنْ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْعَدَارَ . وَالْحُسُودَ
الْمَكَارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفَرِّغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
كَمَا هِيَ . وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يُقَصِّرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُتَرَفُّ مَصَائِدُهُ . وَتَأْدَةُ
يُغْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْحُصَمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العاشرون مجتبه

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مُسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَهِيَ

بَعْضِ السِّينِ . قَدِيمَ قَرْيَةٍ مَتِينٍ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ . كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَاكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَانٌ . قَبِي بَنَصِ الْأَعْوَامِ . أَقْبَلَتْ أَلْهَوَاكِهِ
بِالْإِنْعَامِ . وَنَثَرَتْ التِّمَارَ مَلَابِسُ الْأَشْجَارِ مِنْ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْصَامِ .
فَالْجَلَّتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ . أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ فَصِيهٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسَقَوْا . وَنَامُوا
وَعَفَقُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَاكَ تَصَرَّفَ الْمَلَّاكُ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
خَادِشًا . وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَنَاكِشًا . فَأَضْرَ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى الْخَجَرَ فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّ عَنِيدٌ . فَسَارَعَ إِلَى التَّلَاخِيذِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّقْخِيزِ . فَابْتَدَأَ بِالْتَّرْجِيحِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْمَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْهَافِكَةِ . وَطَائِبِيهِمْ بِالْمَقَافَةِ . وَسَاحَ
بِالْمَارَاحَةِ . وَمَازَحَ بِالْمَسَاحَةِ . إِلَى أَنْ أَطْمَأَنَّنُوا وَاسْتَكْنَوْا وَاسْتَكْنَوْا .
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَا عِبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ خُزِّمَ أَطْرَافَ الْمَعَارِفِ وَالطَّرَفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُعَاوَنُونَ مِنَ الْخُرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
شَيْخُ الْقَضَاةِ جَدِي . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا فَصِيهٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ نَبِيهٌ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيهِ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَفِيهِ الشُّكْلُ كَرِيهٌ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكٌ رِقَابِنَا . وَحَارِسٌ حِجَابِنَا . يُحْفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أُنْسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَيَجْمَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وَقَايَةً . وَنَكِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نَكَايَةً . فَلَوْ مَدَّ يَدُهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ .
فَهُوَ بَعْضُ اسْتَحْقَاقِهِ وَدُونِ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَهَذَا تَشْرِيفٌ بِهِ الْيَوْمُ
مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالَمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَفُونَا
بِإِقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّامِهِمْ . فَاهُمْ الْفَضْلُ عَلَيْنَا . وَالْمِنَّةُ
الْوَاصِلَةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَايِعَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ تَابِعِهِمْ . فَيَايَ عَارِيقِ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجَلِي وَرُمَانِي . هَلْ بَايَعْتَنِي بِسُلْخَةٍ .
وَتَرَكْتَ لِي الْمُرَابَجَةَ . أَوَلَكْ عَلَيَّ دِينٌ . أَوْ عَامِلَتَنِي نَسِيَّةٌ دُونَ عَيْنِ .
أَلَكْ عَلَيَّ جَمِيلَةٌ . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَقْتَضِي تَنَاوُلَ مَالِي .
وَالْهَجُومَ عَلَى مَالِكِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدُهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رِقَابِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ . وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ . فَلَا وَثِقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً . وَهُوَ عَلَى
الْخِلَاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَعَانَزَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ عَلَى الْفَقِيهِ الظَّرِيفِ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالَمُ الْفَقِيهُ . وَالْفَاضِلُ النَّبِيُّ . أَنْتَ مُنِّي الْمُسْلِمِينَ .
وَعَالَمُ بَعْثِنَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارَ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتِكَ الْفَارِقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ فَمِنْ أَفْتَاكَ بِالْدُخُولِ فِي
هَذَا . أَفْتَنِي يَا عَالَمُ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمْ التُّعْمَانُ .
أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ . فَجِئْنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بِأَلِكْ تَمُوتُ
وَتَعْبَثُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجُهْلَاءِ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا أُرْتَكِبَ مِثْلُكَ هَذَا الْمُخْطُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءُ
 وَالْقُلُتُونُ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَائِدِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتِلَافِيهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآلَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَجَدَّ بِصَاحِبِهِ إِلَى جَانِبِهِ فَمَا أُنْجِدَاهُ
 وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ يَلَاهِي . الْجُنْدِيُّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ الْجَيْدُ الْحَسِيبُ . لَا تَغْتَبِ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَنْقِلْ مَلَامِي .
 أَمَّا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ حَظِيرٍ . لَهُ الْجَمِيلَةُ النَّامَةُ .
 وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَاهِرِ .
 وَالْفَضْلِ الزَّاهِرِ سَلَفُكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا تَغْتَبِ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَثَبَ
 إِلَيْهِ وَكَفَّفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَغْطِفِ الْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَأَنْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ أَحْتَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا . وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحِيرَانَ . وَأَسْتَعَانَ بِالْحِلَازَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرَبَاطِهِمْ
 وَعَمَلَتْهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ وَعَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى لِعَلَّوْا أَيُّهَا الْوُرْدَاءُ أَنَّ
 التَّفْخِيزَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيزِ . أَمْرٌ مِنَ السَّهَامِ فِي تَفْخِيزِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّفْخِيزِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدَ الْأَسْبَابَ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ الْخَوَاجِمِ فِي الْحَوَاجِمِ. فَمَنْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا. وَمَنْ اسْتَمَعَ بِاللَّهِ عَفْوَهُ. وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِنُّهُ وَلَنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُبْتَعِجِ: الصَّبْرُ أَخْبَى بِذِي الْحُجِّجِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعُ الصَّبْرِ مَتَّبِعُ النَّصْرِ (للمقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا اسْتَمَلْتَ عَلَى أَلْيَاسِ الْقُلُوبِ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتِ وَأَرَسْتَ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُضُوطٍ مِنْهُ غَوْتُ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ قَمُوصُوهَا قَرِجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ:

هُمَا حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَاقِيقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعَرَاءُ

إِنْ أَلَمْتُ مُلِمَّةً بِي فَأَنِّي فِي الْمَلَمَاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءٌ
حَازِرٌ فِي الْبَلَاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ التَّبَعِيمُ وَالْإِلْهَاءُ
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِي :

وَإِنِّي لِأَغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَذَى وَالْبَسُ تَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضًا أُنْجَا
وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ عَلَيَّ قَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَنْفَرَجَا
وَكَمْ مِنْ قَتَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ تَخَرَجَا
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تَبْدِ التَّضَعُّعَ لِلْعِدَى وَلَوْ قَطَعَتْ فِي الْجَنِّهِمِ مِنْكَ الْبَوَارِ
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بَذْلَةً وَلَكِنَّهَا تَقْتُمُ إِذْ أَنْتَ صَابِرٌ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْآثَرُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَارًا بِالظَّفَرِ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِيتَ بِهِ فَالصَّبْرُ يَذْهَبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرَجٍ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صَبْحٌ مِنَ الْقَرَجِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِي :

صَبْرًا عَلَى تَوْبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِكَأَيَّةِ الْأَحْرَارِ
لَا يَكْشِفُ النِّجَمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا يَسْرِي الْكُفُوفُ لِرِفْعَةِ الْأَقَارِ
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِي :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ وَثِقْ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَابْتَهِجْ

وَأَرْجُ إِذَا أَشْتَدَّ هُمْ نَارِلَةً فَأَجِرُ أَلْهَمَ أَوَّلُ التَّمَرِّجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرَ فَنِي الْأَوْدَاءِ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ وَلَوْلَا صُرُوفُ الْمَهْرِ لَمْ يَزِفْ الْحُرُّ
وَأَنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَتَدَبُّ جَمِيلَ الرِّضَا يَبْقَى لَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقَى بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا فَلَيْسَ بِحَزْمٍ أَنْ يُرْوَعَكَ الْعُشْرُ
فَلَا نِعَمَ تَنْتَقِي وَلَا نِقَمَ وَلَا تَتَأَبُّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
يَدُومُ كِلَا الْحَالَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرٌ لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُسْرٌ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رُتِجَا
لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيَعْرِفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ نَهَاهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتِمُّهُ أَصْطَبَارُهُ هَدَى قَلَّ فِي مَا يَرْتَجِيهِ مُنَاهُ
قَالَ الْمَرَارِيُّ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَبِالْجَلَمِ سُدَّ لَا بِاللَّسْرِ وَالشِّمِّ
وَاللَّجَلِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ مَغَبَةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشْمَسَ مِنْ ظُلَمِ

القناعة

٩٨ إِعْلَمْ أَنَّ يَمَّا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَى أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْثَادِ وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالْغُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَ الْخَلْقِ

بَلَاءَ وَالْمَا الْفُقَرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسَ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمْ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
وَالْكُذِبَاءُ . وَيُقَالُ : إِكْلَ شِبْرِ قَامَةٍ مِنَ الْهَمِّ . وَقِيلَ :
لَقَدْ قَمَعَتْ هَمِّي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرُّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَاسْكِنَهَا تَوُورُ الْعَافِيَةِ
وَمَا لَمَّا رَضِيتَ الْمُلُوكَ وَالسَّالِطِينَ . بِجَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .
فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
قَارِضَ بِجَالِ فَقْرِكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَمَدَّدْ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدْ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لَطْفِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَذَبُّرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَأَتْسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْثٍ كَانَ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطُرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ إِلَيَّ تَطِيرِينَ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَتَعَبُهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهر والي)

٩٩ وَلِلَّهِ مِنْ قَال :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ
قَالَ آخِرُ :

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِ بِهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

غَنَى النَّفْسَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فَقَرَأَ
قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ اقْنَعْ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلِّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحُجَابَ . وَيُبْعِدُ الْحُجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَمَيَّ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْبَسَاطِ
وَيُخَاطَبَهُ وَيَعُودَ مَقْضِي الْحَاجَةَ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْمُضْصُومِ مِثْلَ
الْحُكْمِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأُمُورِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجَنَّفْتُ أَوْ لَأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ أَنَا
أَوْ أَخَذْتُ مِنْ أَصْحَابِي . فَاتَّغَرَّ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ بَقِيَ
الْيَتِيمُ جَمِيلُ الْجُلُوبَةِ لَاجِرَمَ عِلَاقَتِهِ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُتَعَدِّينَ بِالسَّلَاحِ مُقْنَعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِرَكَّةِ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
قَالَ شَاعِرٌ :

أَلْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كُلُّهَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْحَتِمُ
الْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُتَمَتِّعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْمِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . قَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكُبُ . قَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رَقْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلِكُكُمْ قَسَرَ نَفْسَكُمْ . وَقَدَرْتُمْ قَهْرَكُمْ . وَخَوَلْتُمْ
فَفَسَقْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَطَعَنْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ
الْأَسْحَارِ نَافِذَةٌ لَا سِيَّامَ مِنْ قُلُوبِ أَجْمَعَتِهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَانِهَا .
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُنْتَظِمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَابٍ يَنْقَلِبُونَ . فَقَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

(لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّمَالِي قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَرْفَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ فِي شَهَادَةِ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتِّفَاقَ عَلَى
إِتِّفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مِينٍ وَأَخِيْلَاقٍ . وَأَخْرَجَ مِنْ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسَرَّتْكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلُ فِي مَسَاءِ تَكْ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ
الْمُتَنَبِّئَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرام

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ: تَنَاقَسُوا فِي الْمُنَافِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ. وَانْكَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَحْلُوهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعُودَ نِقْمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَّوْا وَانْقَضَ وَأَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تَكْ الْكَرَامَاتُ
وَحَلَفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَانِيُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكَرَى مَا نَوُوا
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْبَسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلَفُهُ وَلَا تُعِيرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَعُكْرَتِي عَلَى تَلَوْنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ النَّفْسَ وَلَا يَهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
قَالَ آخِرُ :

يُفْنِي الْبُخْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ النَّفْسِ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْءَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودًا أَفْرَ يُسَجُّ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَائِبُجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُفَجِّبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
قَلْبُكُنْ ثَمَرَهَا سَالِمًا مِنْ جَوَاحِجِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (الحوي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبٌ
وَالْأَقْلُ لَا تَسْتَرْخِ وَتَرْخِ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَتَمَّدَ وَعَدَتْ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لِأَخِيرٍ فِي وَعْدٍ بَغِيرِ تَمَّامٍ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرَمًا فَأَطْلُ يَذْهَبُ بِهَيْجَةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ جُمِعَ الْأَفَاتُ فَأَتَجَلُّ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنْ التَّجَلُّ الْوَاعِدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَثَنِي بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَفِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادُهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مِنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطَبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَمِيرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيحي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :
نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِيَةٍ وَاللَّيْبَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوِّجٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتَلَبِي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شُجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمُحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا أَجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْمَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ أَهْلِي أَقْرَانُهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْقَوْلُ لَكَانَ أَذْنَى ضَعْفٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيْسِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِينَ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَرِيْسُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ اخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤْيَدْ بِقَائِمٍ

قَالَ الْأَصْمِيُّ : قُلْتُ لِشَارٍ : رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَّبِعُونَ مِنْ
 آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ . أَوْ خَطَأٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْيُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَأَسَدُ شَارَةِ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَحَزَمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لِأَنَّهُ أَخْطَى وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَّتْ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ

(لأبي نصر المقدسي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَخْضَرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمُ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
 فَالْدُّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُمْتَتَى مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرٌ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَابَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تُنْظَرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَآى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِعِرَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثُ فَخِذُ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَيْقَةِ
 وَدَادُ خَالِصٌ وَوُفُورُ عَقْلِ وَمَعْرِفَةُ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَأَلْزَمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤِيِّ:

فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ بِمُوتِكَ نُضْحُهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُضْحُهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَ عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بَنِيصِبٍ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَحَقُّ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلِسِّرِّ
مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفْنِدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَمْتَدُّ نِعَمَ اللَّهِ نِقَمًا وَزَيْدُهُ غِبْرًا . وَعَدْلُ قَضَائِهِ حَيْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَأْمُ جَشْمُهُ . وَلَا يَقَعُهُ
عَيْشُهُ . يُخْتَرُّ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُتَسَخِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيلُهُ . وَلَا تَوْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعْتَهُ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ قَالٌ : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ قُحْمَ الْهَلَاكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ إِنْ أَنَا لَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْعِرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقْدِرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِيَنَالَهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ
وَيَكْثُرُ أَهْمُهُ . وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّةُ :

أَيَا رَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يُضِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَدُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ حَبَّتْ أَيْبُنِي مِنْهُمْ مَنْعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بِذُنِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتُونِي

وَأِنْ طَرَقْتَنِي نِعْمَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَأِنْ صَحِبْتَنِي نِعْمَةٌ حَمِدُونِي
 سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَعْجِبْ عَنْهُمْ تَاطَرِي وَجْهُنِي
 كَتَبَ ابْنُ يَسْرِ الْمُرُوزِي إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :
 كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَّى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ مَسَدٍ
 فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عَقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغْدًا بَلَا قَتَرٍ صَفْوًا بَلَا رَتَقٍ
 خَاصٍ فَوَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
 (لَابِنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهِ وَتَوَقَّ غِيْرَةَ مَنْ حَسَدَ
 إِنْ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُتَجَبِّدُ
 وَبَعْضُ الْأَدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :
 لَا يُخْرِزَنَّكَ قَرُّ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
 فَإِنَّهُ فِي رَحَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ أَلَمًا وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إَعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
 الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَظْهَرُ الْمُصْلَحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
 فِي الْمُصْلَحَةِ فَالْسُّنَةُ أَلَا مَسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَعَاقِبُ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ أَلُورِدٍ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ
تَسَعَةٌ مِنْهَا فِي الْعَقْلِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عَزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَعَنَّا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَعَنَّا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيحَتَكَ . لَاغْدَتَّ
صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحَسَّتْ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا .
يَقُولُ اللِّسَانُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقُنُّ
يُخَيِّرُ إِنْ تَرَكْنَاهَا (للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مُمْتَوٍ
مَا زِلْ دُوسَمْتِ وَمَا مِنْ مَكْثَرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُسَابُ صَمُوتٌ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالْعَمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَأْقُوتُ
١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَّغْتَ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلْتَ مَا سَأَلْتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكُ
أَوْعَالِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقَلَّتْ مِنْهُ
نَفْعٌ . وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنْهُ صَدَعٌ . وَقَالَ لُثَمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذَ مِنْ وَخْزِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ . وَآخَرُ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الصُّلُوبَ مَزَارِعَ فَأَزْرَعْ فِيهَا طَيِّبَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتْ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْتَى مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أُمَامَةٌ وَالشَّفَقَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْمَا مُطِيقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَى
 اللَّهُ وَلَا تُطْلَقْ هَذَا الْحَبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للسَّهْرَاوِيِّ)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْفَظُ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزُ مِنْ لَفْظِهِ فَالْمَرْءُ يَسَامُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَزَيْنُ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثُرْدَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تُخْطَبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سَجُنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا أَسْتِصَالُ
 إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَّتْ عَقَالُهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْمَاءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُؤْنٍ الْخَبِيبِيُّ :

رَزَّهُ لِسَانُكَ عَنْ قَوْلِ تَعَابٍ بِهِ وَأَرْعَبَ إِسْمِعِيلَ عَنْ فِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَنْبِيكَ وَاطَّرَحَ أَلْ مُضُولُ تَحْيَ قَرِيْدَ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَتَمَانَ السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُسَكُّ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يُكْتَمُ سِرُّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ سِرُّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَاهُمْ عَذَابُهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْإِسْتِدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ
الْمُشَارَكَةِ (للسَّيرَافِي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمُسِرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ إِسْرَافِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ تَاجَانِي
١١٢ (فِي التَّلَاجِ) أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْأَنْجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرَهُ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مَنْ أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ عَائِلَتِهِ بَعْضُ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْتَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى أَثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَافِشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ أَثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ أَثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ اتَّهَمَهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِخِيَانَةٍ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغيبية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ عِلَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :
لَا تَهْتَكَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَاسَرُوا فَيَهْتَكَ اللَّهُ سِرًّا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لابن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَلَجِّ الدَّهْلِيُّ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَنْ أَوْدِهِ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْئِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِنْهُمْ هَمَّازٌ غِيَابُ مَشَاءٍ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنِّعَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُفْهُلَةٌ وَضَنْئُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُتَعَبُّ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِنِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرَكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُونَ بِالنِّمَمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونٌ ذُو الْوُجُوهِ .
مَلْعُونٌ ذُو الْأَلْسَانِينَ . مَلْعُونٌ كُلُّ شَفَّازٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونٌ
كُلُّ نَمَامٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَانٍ (وَالشَّفَّازُ الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَّاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَالْأَصْوَصِ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّمَاءُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمُ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِي ضَيَعَ الصَّدِيقُ وَقَدْ تُقَطَّعُ الشَّجَرَةُ قُبْتُ

وَيَمْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدِمِلُ. وَاللِّسَانُ لَا يَنْدِمِلُ جُرْحُهُ. قَالَ صَاحِبُ
أَبْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ،

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غَيْرِ نَبَاحِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سَمِعْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُوفِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَكُفِّ لِسَانَكَ عَنْ شَيْئِي وَتَرْيِينِي
١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ: النَّسِيمَةُ لَا تَرْبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا. وَلَا
عَدَاوَةَ إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا. ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ. وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ:
مَنْ تَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تَوْمَنْ عَقَارُ بِهِ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تَوْمَنْ أَقْوَامِهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَذْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَقْضُهُ وَأَلْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(للأبشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ: الْكُذِبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَحَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاخْتِلَافُ
الْبَيِّنَةِ. وَعَنْ خَمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِي لَا يَنْبَغِي وَتَمِمْهُ
يَكْذِبُ: يَا بُنَيَّ عَجِيتُ مِنَ الْكَذَّابِ الْمُسَيِّدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْنِهِ وَيَقْرَأُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ. قَالَ تَامُّ لَهُ عَادَةٌ. وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ. إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ. وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَقَّ. هُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ. وَالْأَدَالُ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِفَعَالِهِ. فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ) قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكُذُوبِ وَإِفْكَهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكُذُوبُ تَقَعُّكُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكُذُوبُ تَخْلُفَا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ وَبُكَاهُ وَبَصَّتِهِ وَبُكَاهُ وَبُهِجَكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبَةِ: مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ تَكْرَهُ الْمَزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ. فَقَالَ: الْمَزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا عَشْرَةُ أَبْوَابٍ. الْمَزَاحُ أَوَّلُهُ قَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحُّ. الْمَزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ كَالشُّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ. وَالْمَزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ. وَيُنْفِرُ الرِّفِيقَ. وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ. لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ. وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ. وَيُبْدِي الْخَفَى. لَمْ يَجْرَ الْمَزَاحُ خَيْرًا. وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا. أَلْعَابُ بِالْمَزَاحِ وَاتَرُ. وَالْمَعْلُوبُ بِهِ تَارُ. وَالْمَزَاحُ يُجْلِبُ الشَّتْمَ صَغِيرُهُ. وَالْحَرْبُ كَبِيرُهُ. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ. فَقَالَ الْحُجَّاجُ: حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٌ. وَذَكَرَ الْمَزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ: يُنْتَفِ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحُرْدَلِ. وَيُنْفِرُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرَّجُلِ . وَدَمِيهِ مِثْلُ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ . أَخَذَ هَذَا
الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلَقَّى أَهْلِي يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِنَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هَيَّاتِ نَارَكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلًا غَالِبًا أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَبُ الْأَصْغَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخصوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي التَّبَسُّمِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّفْسِ وَثَالِثُ
الْعَيْنَيْنِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشَّقُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عُمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعُدَّتُهُ . وَنُصْرَتُهُ وَعَقْدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْحَلِيلِ شِفَاءُ الْغَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا غَنَهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقَيْنِ . كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رَوْحُ الْحَيَاةِ .
وَفِرَاقُهُ سَمُّ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسْأَلْ مَرَادَةَ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحَلَاوَةِ
الْأَخْوَانِ الثَّقَلَاتِ . فَاسْتَرْوِخْ مِنْ عُمَةِ الزَّمَانِ بِمَوَاسَةِ الْخِلَآنِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمَعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَلِبَعْضِهِمْ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَلَبِ :

مَا صَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُضْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عَصَابَةٍ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مِلَاطِفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَنَبَّيَ شَمَائِلُهَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلِّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسُبُونِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَاشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَهْلُ
عَذِرَ فَلَيْسَ الْعَذْرُ مِنْ شَيْمِي

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عُلُوِيَّةِ الْخُجُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَالِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَشَتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ رَوْقٍ وَيَضْفُو إِنْ كَدُرَتْ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُغْنِينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظِرُّهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : أَدْنِ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي الْخِلَافَةَ وَأَعْطِينِي هَذَا الصَّاحِبَ
(لباء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمَرْوَائِنِ الشَّرِيكَ فِي الْمَرْأَتَيْنِ
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَمِي وَإِنْ غَبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعَشَرٍ إِذَا غَبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَاءِ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوُدَادِ زُورًا وَمَيْنَا
قَالَ بَشَّارُ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْنُوعُ وَمِشَارِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ الْبَاهِلِيَّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرْثَبَةٌ مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَاءَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَقَّافُ الْمُلُوكِ مِنَ الْحَالِ
مَالِي رَأْيُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرْ فِقْلَتْ ذَاكَ أَخُو ضَلَالِ

أَوْ كَانَ ذَا نَسَكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِهِ مِنَ الْأَمْرِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فَمِمَّنْ ذَا ثِكْلِكَ أَمْ كَ تَبْتَنِي رَبُّ الْمَعَالِي
 ١٣٢ قَالَ الْعَنْزِيُّ وَأَلْشَدَّ بَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحِمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُكْرَهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَنِّعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرَجِيبِ وَالْيُسْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَأْخِجِي الْعَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٍ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفُضْ بِإِجْمَالِ هَوْدَةٍ مَنْ يَقْلِي الْمَقْلَ وَيَمْسُقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْلُطُ بِهِمْ بِغَيْرِهِمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعَيْيَانَ بِالْصُّفْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمُنَوِّفِيُّ :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ الْحَدَنُ الْمَقْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقُ مَنْ أَصَادِقُهُ خُفَاً
 وَجَانِبُ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبَقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَرَضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا لَمْ تُرَاعَظْ
 ١٣٣ قَالَ الْعَتَائِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرَعُ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفِرْعَوْنَ . وَفِرْعَوْنُ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ الْبَابِيُّ مِنْ أَصْلِهِ
فَأَخَاهُ بُنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحَفِظَ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفِرْعَوْنَ فَأَخَاهُ أَصْلُهُ الْكَرْمُ وَأَعْصَاهُ التَّقْوَى . وَأَمَّا الْفِرْعَوْنُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْضِ سَاعَةً فِي دَيْ كَتَيْهِ ظَالِمًا قَدْ غَسَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي ثَمْتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَرَّ الْبَغْضِ بِالْقَاطِطِ الْهَوَى وَادَّعَى الْوَدَّ بَغْضٍ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَوْلِي خَيْرًا وَإِنْ غَبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتَهُ فُرْصَةُ حَمَلِ السَّيْفِ عَلَى تَجَرُّي النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَّرَ أَنْ يَقْظَ مَنْ كَانَ نَفْسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبِ كَانٍ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ نَسْمَى بِهَا قَدَمُ أَوْ كَذِرَاعٍ نَبِطَتْ إِلَى عَصْدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظَمِي وَحَالَ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
أَعْرَضَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَنْجِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْفُهَا
وَتَحَرَّسَهَا مُعَرَّضَةً لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْإِيَّ بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَتَعَذَّرَ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْثِرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّصْصِيرِ . (وَلِخَمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرِ اعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يُوَدَّ إِلَيْكَ مِمَّا دَتَهُ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَّصِلْ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ الْمَنَالِ
وَأَحْفَظْ سِرَّهُ وَالْغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاهُ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاتٌ وَوَدَّ لَا تُخَوِّنُهُ الْيَأَلِي
وَأَوْرَثُهُ عَلَى غَيْرِ وَيَسِّرْ وَيُنْهَذْ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرْ نَبْوَ الْإِذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَوَافٍ وَلَا أُنْعَذِرُ الْمُدْمَمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَحْذَرُهُمْ دُرُوعًا فَكَأَنَّهُمَا وَلَكِنْ لِلْإِعَادِي
وَحَلَّتْهُمْ سِيَهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَأَنَّهُمَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ
١٢٧ وَأَنشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيًّا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَكَاشَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَرَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
عَلَّمَ تَرْنِي الْأَيَّامُ خِلَالًا تَسْرُنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى التَّصَابِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَطَلَهُ بِهَا : تَحْنُ إِلَى الْفَعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يُكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْتَّائِي إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَتَرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبِهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والتكبر

١٣٩ إَعْلَمَنَّ الْكَبِيرَ وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْفَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ التَّضَمُّعِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبِيرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَخَايَ الْكَبِيرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُهْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلَكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلَكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للأبشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ أَفْتَخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدَتْ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تِيحَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكْ بِالْعَالِيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ رُتِفًا إِلَى الْمُلُوكِ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِتَضَعِ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعَالِيَّ وَأَكْظِمِ الْغَيْظَ وَلَا تُبْدِ الصَّغِيرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذَخْرًا إِنَّهُ لَأَفْقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
إِجْلِلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلِّكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَا وَالْأَدَبِ

فِي الْعَقْلِ وَهَيْئَتِهِ

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمُعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْمَحْسُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَهُ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْرُكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْأُخْرَى الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكنز المذفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَتْ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يُفْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ قَدْ وَاحِدٌ وَطَرِيفُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ قُنُونُ

فِي شَرَفِ الْعَقْلِ

١٣١ أَلْتَقِلْ أَحْسَنُ حَلِيَّةٍ. وَأَعْلَمُ أَفْضَلُ قُتِيَّةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوْءٌ مِنْ رُكْبَاهَا زَلٌّ. وَمَنْ صَحَّحَهَا

ضَلَّ . مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عَشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَقَرَّ . وَمَنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَقَّرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَدَبَّرْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاةُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُذَكِّرْ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزَّزَهُ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (الشبراوي)

١٣٢ حَكَى الْكُتَاتِي أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمُؤْمِنِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : قَالِمٌ يَأْتِي قَالِيًا أَنْ أَقْبَلَ كَوَكْبِي
 أَفْقِي يَزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطْوَهُمَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَني
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَّا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَرْنِي أَفْقِي وَفَرْنِي بِشَامَةِ يَزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمُخْتَدٌ
 سَلِيلِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثَ مَا أَبْقَى أَبُوكَ الْمُؤَيَّدُ
 يَسْدَانِ أُنْفَاقَ الْفِتَاقِ بِشَيْتَةِ يَزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مَهْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّلَّالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا أَلْسَنَا . وَلَا أَحْسَنَ أَلْفَاظًا .
وَلَا أَشَدَّ أَقْدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمًّا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي . ثُمَّ صَمَّيْنَاهُ إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
فَلَمْ يَنْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمُوعَ تَخْدُرُ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ . (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

الْأَنْسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَنُّالِ أَكْثَرُ . أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرٌّ يُقَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا أَنْفَخُوا إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمِنْ أَسْتَهْدَى أَدِلًّا
وَقَدَّرَ كُلُّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نَسَبَنَا جُودٌ وَعَلِيَاءُ
فَقَدْ يَعْلَمُ تَعَشُّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ إَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ أَمِيرُ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدَرُهُ
عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْحَمْدُودُ مِنْ عَمَلٍ وَأَفْجَحَ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مِنْ جَهْلٍ
فَلَيْسَ يَضُحُّ نُطْقُ الرِّءُوسِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُلِّا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا رَبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَدْبَرَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالِاسْتِحْقَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مُلِمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فِدْوَلَةٌ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوَلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكْنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِأَدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فِدْوَلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْتَعَرُّبِ الَّذِي يَخِينُ إِلَى الشُّمْلَةِ . وَدَوَلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةِ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا آدَبٍ عَلَى نُحُولِكَ أَنْ تَرُقَى إِلَى الْفَلَاحِ
فَيْنَمَا الذَّهَبُ الْإِزْبِزُّ مَخْطُطٌ بِالْثَرَبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِرَتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بَغَيْرِ
عَقْلِ . وَلَا يَمْتَنِزِلَةَ رَفِيعَةً حَاطَهَا بِغَيْرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبَهُ مِنْهَا . فَيَنْحَطُّ إِلَى رَتَبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَّتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَطْوُرَ عُيُوبُهُ .
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَتَعَدَّنْ عَنْ الْكَتْسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْقَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَنُحُولُهُ عَارٌ عَلَى الْآيَامِ
(للشبراوي)

١٣٦ سُبُلُ الْأَخْتَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطَنَ . وَمِلَاكُ مَا عَلَنَ . وَسَانِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ
(للقيرواني)

قَالَ الْحَضْرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمٍ اللَّهُ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
تَمَيُّنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِبُهُ
وَشَيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَتَنَسَبَتْ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَةٌ فَخَرٌّ مَنْ تَسَرَّ بِهَا كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِي عَنِ النَّسَبِ
وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِم بِالْعَقْلِ يُجْوَ الْفَتَى مِنْ جِرْمَةِ الطَّالِبِ
١٣٧ قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقِتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجَدُّهُم أَذْكَى مِنَ الْبَصَرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا وَفِي إِبْرَاهِيمَ وَقَلْبِي مِنْهَا نُورُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَشْهُورُ
(الابن عبد ربه)

فِي الْعِلْمِ وَشَرَفِهِ

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِيَتَقَالَ ذَرَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَلْفَعَامَ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقَرَأْنِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا بِي نَصْرَ الْمُقَدَّسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ نَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَخِي بِهِ فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِلْمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَتَشَدُّوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطْمًا عَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا لَفَرَكَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمَلِكِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَمَالًا . وَأَتَشَدُّ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ فَاحْذَرَنَّ تَدَنُّسَهُ بِالْمَوْبَعَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفٍ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعُلَمَاءِ مَا امْكُنَ وَلَا يَدْعَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنْ الْجَمَالَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا لِصِفَاتِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَفْسِهِ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ التَّبَرُّعَ بِطَنْ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بَنِيهِ
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حِكْمِهِ لَا مِنْ مَلَاَحَةِ نَفْسِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّلَامُ قَوْمٌ لَا عُشُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ ثَمَسَ الصُّخْيِ وَالْثَمَسُ طَالِعَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يُخْرِسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ
الْمَالَ . وَأَلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَنْقُصُ بِالنَّفَقَةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخَارَ الْعِلْمُ فَأَعْطِيَ الْمَلِكُ وَالْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ مِنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) تَقِيهِ جَلَالًا لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَنَمٌ
فَحَاظِرُ رَوَاةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِيَارِهِمْ فَصَحَّتْهُمْ زَيْنٌ وَحُلُطَتْهُمْ غَنَمٌ
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نُجُومٌ هُدَى إِنْ عَابَ نُجُومٌ بَدَا نُجُومٌ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا أَتَّضَعَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُودِ لَنَا رَسْمٌ
١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكَيْمًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هَرْدُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْهُوَ مَنْ
لَا يَشْبَهُانِ طَالِبُ الْعِلْمِ وَطَالِبُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . وَأَمَّا طَالِبُ
الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمَنَى
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكْ غَافِلًا
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ
وَالْعِلْمُ أَجَلُ قَوْبٍ أَنْتَ لَا لِإِسْهُ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ
وَإِنْ أَمَرْنَا لَمْ يُنْجِي بِالْعِلْمِ قَلْبَهُ
قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدِّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاضِلٌ
يُسَاقِبُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجَهْدِهِمْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِدَيِّ الْعِلْمِ وَالْحُجَى
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ غَيْرُهُ
وَقِيلَ أَيْضًا :

الْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ
إِغْنَمَ جَنَى غَرَسِهِ تَحْطُ بِذِلِّ مَنَى
وَالْعِلْمُ يَضْطَبُّ الْإِنْسَانَ لِلتَّرَبِّ
وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبَةِ الشُّهْبِ
١٤٣ قَالَ الْمَلْهِيَا بَادِي مُغْرِيَا بِتَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

تَسَاعِيًا وَطَلَابُ الْمَالِ هِمَّتُهُ
إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا
 أَلْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِقَتَى أَبَدًا
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلَقْتَ
 وَأَنْظِرْ إِلَيْهِ بَعِينَ ذِي خَطَرٍ
 فَإِلَيْكَ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَتِّنَا
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ
 كَمْ سَيِّدٍ بَطُلٌ أَبَاؤُهُ نُجُبُ
 وَمُفَرِّفٍ خَامِلٌ أَلَا بَاءُ ذِي آدَبٍ
 أَلْعِلْمُ كَكْرٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصٌ ثُمَّ يُجْرَسُهُ
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
 يَا جَامِعُ الْعِلْمِ نِعَمَ الذَّخْرِ تَجْمَعُهُ
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَهْوِيهِ شَرَفًا
 يَزْدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا تَلَبَّ
 وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ اشْتِخَاصًا إِلَى رُتَبٍ وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلاَ أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَقْنِي ذَخَائِرُهُ وَالرُّبُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّبِّ
 فَالْعِلْمُ فَاطِلٌ لَكِنِّي يُجَدِّدُ جَوْهَرُهُ كَالْقَوْتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى الذَّهَبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ بَحْثُ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنُ الرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْآخِرَةِ تَنَالٌ بِهِ الْعَالِي
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
 إِرْكَنٌ إِلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ وَأَعْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيمًا رَزِينُ الْعَقْلِ مُحْتَرِسًا
 وَكُنْ قَتِي مَاسِكًا مُحَضِّ الثَّقَى وَرِعًا لِلدِّينِ مُعْتَمِدًا فِي الْعِلْمِ مُنْقَسِبًا
 مَنْ تَخَلَّقَ بِالْآدَابِ ظَلَّ بِهَا رَيْسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا

وصف الكتاب

١٤٥ أَلِكِتَابُ نِعَمِ الْإِنْسِ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةِ فِي
 دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمَ الْقَرِينِ وَالْذَّخِيلِ . وَنِعَمَ الزَّائِرِ وَالْتَزِيلِ . وَعَاءُ مِلْيَ
 عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مِلْيَ نَزْحًا وَجِدًا . وَحَبْدَا بَسْتَانُ يُحْمَلُ فِي خُرْجِ
 وَرَوْضُ يُقْبَلُ فِي حِجْرِ . هَلْ تَبْمَتْ بِشَجَرَةٍ تَوْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حِينِ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطَعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ شَجَرَةَ لَا تَذَوِي . وَزَهْرًا لَا بُوَي .
 وَثَمَرًا لَا يَفْنَى . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجَانِسَ وَضَدَهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتِ وَيُتْرَجَمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَب . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْصِب . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْمُ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الصَّحَى . وَأَنْطِقُ مِنْ سَحَابٍ وَإِنِّي
 وَأَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمَ يُحَلِّي بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمْعَ أَوْصَافٍ عَدِيدَةٍ .
 عَرَبِي فَارِسِي يُونَانِي هِنْدِي سِنْدِي رُومِي . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلْهَى
 أَمْتَعَ . وَإِنْ أَنْبَى أَدْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَزِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَرَحَ فَزَهْرَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَمَخْزَنُ الْوَدَائِعِ . قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَبُوعُ الْحِكْمِ . وَمَعْدِنُ
 الْمَسْكَارِمِ . وَمَوْئِسُ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْخِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْئِنَةٍ وَخَفَةِ مَحْمَلِهِ . لَا يَزُوكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعَمْ الْمُدْخَرُ وَالْمَعْدَةُ . وَالْمُسْتَقَلُّ وَالْحَرْقَةُ . حَالِيسُ لَا يُطْرِكُ
 وَرَفِيقُ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطْلَتِ النَّظْرُ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتِلَاعُكَ . وَشَحَدَ طِبَاعُكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانُكَ . وَجَوَّدَ بَيَانُكَ . وَفَحَّمَ الْقَاظُكَ . إِنْ أَلْفَتُهُ خَلَدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرُكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرُكَ . وَإِنْ نَعَتَهُ تَوَهَّ عَنْهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُفِيدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجَلِّسُ السُّوقَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكُ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ (الكثر المدفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوْلَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا فَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَنَحْكُ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا تَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهُدًا
 يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمَوْتُ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتَ مُفَنِّدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأَخُّرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكْتَفِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِطَالَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَقَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى الثَّوَابِ بِخَصْلٍ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمْلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَائِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصْلُوهَا كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْمِلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يُعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوَرَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيُعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِّلُوْا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ نَاهِيَةٍ وَأَشْعَارُ تُطَارِبُهُ (للتخري)

قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْأَسْتِغْثَارِ :

عَالِمٌ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
الْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْهَارُ يَحْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : أَلْيَانُ رُجْمَانُ الْقُلُوبِ وَصِقْلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَفِيهِ قَالَ الْجَلِاحِظُ : أَلْيَانُ أَيْ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ الْكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَازُ التَّرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ . وَالْخِتَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : إِنْ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيعَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْهِنْدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتُهُ الْعُلَمَاءُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُثَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يَسْلُكُ إِلَّا بِصَارِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظْمُ بَشْتُ بِهِ مَنْ عِنْدَهُ الدَّرْ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ التَّلَاعِي: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فخرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّمَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِعِبَارَتِهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِيجَازِ الْغُلِّ. وَالْتَّطْوِيلِ الْمُمِلِ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فخرُ الدِّينِ الرَّازِي عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّقْيِيدِ. وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ اللَّبَنُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرُّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبَلَاءُ لَا يَكْادُونَ يَزِرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمَلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَنَعْمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْقَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَاظِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَيْبَتُهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَعَرَ سَطَطَ مِنْ عَيْنِي (الابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدَبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِكَلَامِ أُمَرَاءِ. وَقَالَ بَصُ
 أَسَانِبُ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْجَائِسُ وَتُسْتَجْحُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ الشَّغَائِمُ. وَيُقَالُ: الْمَذْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاهُ
 الشُّعْرَاءُ مِنْ يَرِ الْوَالِدَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهُمْ فِي الشُّعْرَاءِ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعَقَائِبُهُمْ لَا يَفْنَى. وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ . إِنْ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِنَجْوَا . وَكَانَ يُقَالُ : النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ . وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّفْسِ فِي الْحَجْرِ . وَقِيلَ لِحِمْزَةِ بْنِ يَتَسَ :
 مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعِيلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدَحِ
 الشُّعْرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْزَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ يُسْتَحْسِنُ كَذِبُهُ . وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) إِنْ الرَّجُلُ الْمَلِكُ أَوْ
 السُّوْقَةُ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكِتَابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشَّعْرَ . لِأَنَّهُ
 تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْجَوَائِسِ . وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتُعَرِّفُ بِهِ حَمَاسُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِئُهَا فَتَدُمُ وَتُحْمَدُ وَتُهْجَى وَتَمْدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشَّعْرِ . (وَفِيهِ) إِنْ أَمْرًا الْقَيْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلَكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَلَوْ لَا خِلَالُ سَهْنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُغَاةُ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشَّعْرَ يُجَيِّدُ الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تُبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا تُجَدُّ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَجْرَاتُ

١٥١ (فَصْلٌ لِأَيِّ بَكَرِ الْخَوَارِزْمِيِّ جَامِعٍ لِمَذْهَبِ الشُّعْرَاءِ) مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ إِلَّا قِصَارُ تَحْمُودٍ إِلَّا مِنْهُمْ. وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ. إِذَا دَعُوا ثَأْمُوا. وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا. وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ. وَإِذَا غَضِبُوا وَضَعُوا الرَّفِيعَ. وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكِبَارِ لَمْ يَلْزَمْ حَدٌّ. وَلَمْ تُمْتَدَّ إِلَيْهِمُ بِالْعُقُوبَةِ يَدٌ. غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ. وَفَقِيرُهُمْ لَا يُسْتَحَرُّ. وَشَيْخُهُمْ يُوقَرُ. وَشَابُهُمْ لَا يُسْتَغَرُّ. سِهَامُهُمْ تَنْفُذُ فِي الْأَعْرَاضِ. وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا سَجِلَ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا عَدَلٌ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ. وَسَمَائِرَةُ النِّقْصِ وَالْكَمَالِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ أَنْتَهُمْ نَاطِقٌ بِالْفُضْلِ. وَأَنْسَمُ صِنَاعَتِهِمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعُتْلِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ. يَقْصِرُونَ طَوِيلَهُ. وَيَطْوِلُونَ قَصِيرَهُ. يَقْصِرُونَ مَمْدُودَهُ. وَيُخَفِّفُونَ ثَقِيلَهُ. وَلَمْ لَا أَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الزَّادُونَ. وَفِي كُلِّ وَادٍ يَهَيِّمُونَ

(لَايِي نَعْمَرُ الْمُتَدَسِّي)

فِي الْأَدَبِ

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يَقَالُ: مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا. فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَسْعُ وَتَرْدَادُ عِظَمًا. وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا. أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَنِيهِ فَقَالَ لَهُمْ: الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ. يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ.

وَيُفِيدُ الرَّعَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُفْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارُ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةً . وَتَرَّيْنُوا بِهِ حَايَةَ . يُوَاسِكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشُدَ الْأَصَمِيَّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَأَنَّاءَ مُخْتَاطًا بِالْأُتْرُبِ تَظْهَرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بُزْجِيرُ : مَا وَرَثَتِ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاؤُ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهْمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمَالًا وَبِالْجَهْلِ يُتْلَوْنَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَالْبَهْوِيُّ خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ قَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ قَاتَ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبُ . وَقَالَ ابْنُ عَاشَةَ الْهَرِثِي : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَأِنْ قُلُوا . وَحَلُّ الْأَنْسِ أَيْنَ حَلٍّ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلْكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ قَتَلَهُ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَالِمُ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيدُ انْقِطَاعِهِ
وَأَنْقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَدُثُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَأْيٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ بِزَوَالِ أَمَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسْبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُبَرِّ : حَايَةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسَنَ عَقْلِكَ كَيْفَ

سُئِلَ . قَالَ بِزُرْجَمِيرٍ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِيْعًا . وَبَعْدَ صِيْئَةٍ وَإِنْ كَانَ حَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَصِيْرًا . وَقَالُوا : الْآدَبُ أَدْبَانُ آدَبُ الْقَرِيْذَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَآدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَتَرَعَّ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ
(للشراشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنَ
وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُرَّةٌ لَوْ تَرَكَتَهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يُشْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدَبِهِ
هُمَا كَمَالُ الْفَقِيٍّ فَإِنْ فَقِدَا فَقُتِلَتْ الْحَيَاةُ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْآدَبِ طَاهِرَ الثَّبَتِ تَأَدَّبَ بِآدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوُلْدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
رَأَيْتُ صُلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعَدِّبُهُمْ عِنْدَ الْقَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صُلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَتَمُرَّكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا أَنْفَخَ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْآدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَمَلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرِ .
وَبِالْخَلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ
(للشراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَيْتُكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصَّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُكَ فِي الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُفْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْوِي ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْآدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسَّرْرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَدِ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَعَّ الصَّغَارُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الآدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْآدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلْحَقَ
بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ أَمْسُخَسَنَةً . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسَكِينٍ . وَلَا تَلْجِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يَرْضَ عَنْ
الْبَطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . وَمَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تُغَيِّتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرِيحًا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضِيفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظْهِرَ لَهُمْ الْغِنَى
وَيَبْسُطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنُّ بِأَيِّ بِهٍ وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدْيَوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَّاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَارَدَتْهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكُ
فَكُنْ بِأَيْمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَبْخُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَائِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ بِأَيِّ بِهٍ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمُوَاكَلَةِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنُ قَالَ:

اللَّهُ يَلْمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ التُّزْلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرَجِيبِ حَتَّى خَلَّتْنِي ضَيْقًا لَهُ وَالضُّيُفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْحَالِقُ

قَالَ عَلَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ رُؤْيِهِ . وَنُسَبِّعُهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكٍ
 ١٥٨ . وَمِنْ آدَابِ الضَّيْفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامُ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو أَرْزَاقَ مَنْ يَحْضُرُهُمْ . وَيَبْشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمُ
 عِنْدَ وِدَائِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الضَّيْفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَنْصَبُ عَلَى أَحَدٍ يَحْضُرُهُمْ .
 وَلَا يَنْغَصُّ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْجَسُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَسْتَهْزِئُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورُ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الضَّيْفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَهَذَقِيلُ : ثَلَاثَةُ تَضَنِّي سِرَاجٍ لَا يَغْنِي .
 وَرَسُولُ بَطْنِي . وَمَا يَدُهُ يَنْتَظِرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشَمِعَ
 الضَّيْفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيحي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكَمَلَ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ : الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالْكَبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا الْقَوْتُ . وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى .
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ غَمْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَانِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَبَابُ النَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حَكِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ النَّائِبُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِاتِّعَازِ فَوْجَدْتُهُ يُقَطِّرُ دُهْنًا
عَلَى خَنْصَرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَائِمَتِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعُ حَلْقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَأَسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَفَطَعَ الْحَلْقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيهًا :
قَصَّرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ النَّائِرُ وَالنَّائِظُ
مَنْ يَكُنْ أَلْبَجْرُ لَهُ رَاحَةٌ يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْحَاتِمُ
فَأَسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلْقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسُهُ فِي
حِجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيهًا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرِي نَحْطَى لَهُ وَاعْتَمَدُ
وَأَعْجِبُ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَانِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ
قَزَادِ الْأَمِيرِ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأَسْتَحْسَانِ (بدائع البداهة للارزدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ أَشْعَرَاءِ بَيْتِ الْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْأُورَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزُودُ بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْفَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُخَالَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْنَسُ وَالرِّجَالُ مَهَابَةٌ وَجَمَالَا
فَهِيَ السَّيِّئَاتُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

الحجاج والفتية

١٦٢ أَمَرَ الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ فَمَنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْمَشَاءِ سَكْرَانٌ عَرَبُ عَنْقَةٍ. فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ
يَتِمَّلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ. فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْعُلَمَانُ وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُ الْحَرَسِ: مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَقْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ عَجْزُوبِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِيْنِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ:
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ. فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ لِمَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قَدْرُهُ وَإِنْ تَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تُسَوِّدُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمَنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ:

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَنْشَدَ عَلَى الْبِدِيَّةِ :
 أَنَا ابْنُ لَمَنِ خَاضَ الصُّفُوفَ بَعَزْمِهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرَكَبَاهُ لَا يَنْفَكُ رَجُلَاهُ مِنْهَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتِ
 فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَيْضًا وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَأَحْفَظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قُوَّالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَائِكٍ . فَتَجَبَّ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحُلَسَائِهِ : عَامُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِلْعِلَامِ
 لَهُ يُحْمَلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قُرْطُبَةَ . فَخَانَتِ الْعِلَامُ رِجْلَهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ
 فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرَعْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَائِلًا .
 وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ الْفُصُوصُ
 (كتاب المحب لعبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى مِنْ بَعُوضِهَا :

لَكَ مَنَزَلٌ كَمَلَتْ سِتَارَتُهُ لَنَا لِلَّهِو لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
عَنْ الدُّبَابِ وَظِلُّ بَذْرٍ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَدَقُّصُ الْبُرْغُوثِ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبِرَانِثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِأَلَا عُمُوضِ
فَذَاكَ يَتَرُوبِغِرِ رَقْصٍ وَذَا يُعْنِي بِأَلَا عَرُوضِ
فَتَبْصَحُ

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمَأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ
ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غَلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضَنُ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْلَتِكَ . أَفْتَأْذَنْ لِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعَنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا .
يَبْقَايَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَنَسَّأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
أَثْرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ . الْهَارِبِ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَمَضَاهَا . (للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَقَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَتَبَ
أَنْ يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَشَادِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَّاهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ .
 لَمْ يَصَلُّوا بِالسَّادِ بِأَخِ عَشِيَّةَ إِلَّا اثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَجْهُولًا
 نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّ عُيُونِهِمْ شَرْقًا وَمِلَّ صُدُورِهِمْ تَجِيلًا
 مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً . وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولًا
 هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْلُ فَارَقَ غِيْلَهُ فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمِلٍ تَحْمُولًا
 مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ زُرَعَتْ لِبَاسُهُ كَالسِّيفِ أَفْضَلُ مَا يُرَى مَسْلُوكًا
 وَقَالَ فِي الْحَبْسِ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقَاتِ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنِّدٍ لَا يُفْعَدُ
 أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْلُ يَا أَلْفَ غِيَاةٍ كَبِيرًا وَأَوْبَاشَ السَّبَاعِ تَصِيدُ
 فَالْتَّمَسْتُ لَوْلَا أَنَّهَا تَحْجُوبُهُ عَنْ نَظَرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا خُبُوءَةٌ لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُبْرِهَ الْأَزْنُدُ
 وَالْحَبْسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لَدَيْتُهُ شَعَاءُ نَعَمَ الْمُنْزِلُ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَطَعَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَقَدَ عَلَيْهِ رُؤُوسُ
 الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُسَمَّى دِرْوَاسَ
 ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَاسْتَصَفَرَهُ هِشَامُ
 وَقَالَ لِحَاجِهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
 فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ دُخِلَ لَمْ يُجَلِّ بِكَ وَلَا انْتَقَصَكَ
 وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي . وَإِنْ هُوَ لَا قَدِيمُوا لِأَمْرِ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

نَشْرُ وَالسُّكُوتَ طَيًّا لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِشَرِّهِ . فَأَتَجَبَّهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرْ لَا أُمُّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْكَ سِنُونُ ثَلَاثُ . فَسَنَةُ أَكَّاتِ
 اللَّحْمِ . وَسَنَةُ أَذَابَتِ الشَّحْمِ . وَسَنَةُ أَنْقَتِ الْعَظْمِ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرَقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْسُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَايَ مِنْ
 الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . قَالَ هِشَامُ : مَا تَرَكَ
 الْعَلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمْرًا بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَفُرِّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمْرًا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَارَةِ الْعَرَبِ فَأَمَّا فِي حَاجَةٍ فِي خَاصَّةٍ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (لِلشَّرِيشِيِّ)

الشاعر التزوي

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَلَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بُدَيْدُ بْنُ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَلِيهَةٌ فِي النِّظَامِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ مَدُّ الشَّعِيرِ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَدُوحُ لِلْبَوَائِبِ سِرًّا : لَا تَمْكُنُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَوَقَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِيزِ حَازِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا مَدُّ الشَّعِيرِ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَشَدَّ بَدِيهَا :
يَقُولُونَ لِي أَرَخَصْتَ شَعْرَكَ فِي الْوَرَى فَهَاتُ لَهُمْ مِنْ عَذْمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أُخِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرِ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَصْتَهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدُوحُ هَذَانِ الْيَتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَازَةِ سِنْدِيَّةٍ

المصور وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمَنْصُورُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنَ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :
بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : لَا شَهْرَنَّا امْتِنَاعَكَ
وَلَا عَيْرَتَكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَثَلْنَا مَا قِيلَ : إِنْ خِزِرْنَا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفُؤِي . فَأَيُّ ابْنٍ
قَتَلْتِكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِنْ قَتَلْتَنِي لَحَنِي وَضَمُّ عَظِيمٌ . فَقَالَ لِأَخِي
السَّبَاعِ بَنُكُولِكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ التَّلَطُّحِ بِدِمِكَ . فَجَلَّ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوَاجِي)
١٧٠ مَا أَرَقُّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْهَرَاقِ :

مَا الدَّارُ مَذْغَبُ يَسَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَذْغَبُ لَنَا جَارُ
غَبْنُ قَاوَحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِيَدِكُمْ وَأَظْلَمْتُ بَعْدَكُمْ رُحْبُ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِنَا يَتَرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
رَأَى تَمُودُ لَيْلَانَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهْدُنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِذِهِ الْآيَاتِ :

أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ مُتَبَرِّئَةً تُهْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدَايَا عَلَى وَقْدَارِ مُهْدِيهَا
لَوْ كَانَ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيمَتُهُ لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
فَأَسْتَحْسِنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ
(طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَفْرِيدِ الْبَلْبَلِ :

أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمَغْرَدُ فِي الْفُخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْنَانٍ مُخَلَّةٍ وَرَشَانَا
هَاجِ بِصَوْتِكَ الْمَغْرَدُ سُجُودًا رَبِّ صَوْتٍ يُعَيِّجُ الْآخِرَانَا
١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَارِ الشُّرُورِ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضْرَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عَمَلَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثٌّ وَهَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِ تَذْكِي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَيْمٍ إِنْ عَمَتْ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهِ وَإِنْ خَالَفَتْ فَالنَّارُ
فَأَجَارَهُ عُثْمَانُ :

هِيَ مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهَا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَارَهُ عَلِيٌّ يَقُولُهُ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَلَرَبٌّ غَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِي يَشْوِقُ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَانِمِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ الْمَلَاءِ مُودَعًا :

لَا وَدَعَّكَ ثُمَّ تَدَمَّعَ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شُغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةٌ الْأَخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسٌ وَكَانَتْ أَمَحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ الَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ بَمِيرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِنْشَاقُ الْمَوْصِلِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ
يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ .
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي خِجْرِهِ وَصَنَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأَتْ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِجَدِّهِ مُرْدِيٌّ ثُمَّ يَهْدَى مِنْ بِلَ مَا تُهْدَى
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْئًا مُرْضِيَةً وَجَدًّا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمَتَنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحَزَنِ سُرُورًا وَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِي قَالَ : عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :
لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحُسْنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْحَاقُ عُذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرَتْهُ بَعْدَ أَنْ ضَاهَيْهِ عَلَى ذِكْرِي (الآغا نِي)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :
قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشُّجَاعَةَ مَثْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي نَهْلَ آدَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِنَا وَتَبَا
وَأَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا أَلْتَلُ يُجِيبُنِي مِنْهُمْ وَلَا أَسَابُ
١٨١ قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمُسَيِّحُ الْمَغِيرُ إِنْ قَالِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَجْحِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَرَّ الْعُبَارُ مُثِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَتَيْلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذُّعْرِ وَيَعْلُو الصَّبَاحُ وَاللَّيْلُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَنْ بَلِيدٌ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ مُخْرِدُ

١٨٢ مَثَلُ دُرِّعِلُ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أَمْراءِ الرِّقَّةِ قَالِ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ سِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزِلِ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنْ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلِ
 وَلَا نَتَ أَعْلَمُ بِالْمُكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتُ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَلَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ خَيْرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ
 قَالِ لَهُ قَاتِلَكَ اللَّهُ وَأَمْرُهُ بِمَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعراءِ رَجُلًا يَحْيِي خَيْثًا:

رَأَيْتُ مُنَاوِمًا يَحْيِي خَيْثًا وَكُلَّ مِنْهُمَا بِالظُّلَمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ كَمَقْرَبِ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَقْفَى

ابو عبادة المجتري عند التوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عَبَادَةَ الْمُجْتَرِي الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَائِهِ قَالِ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَقَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَتَقَى بَيَاضًا وَلَا اكْتَبَرَ. فَأَدْمَتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ قَرَمَى إِلَيَّ أَلْبِي كَانَتْ
 فِي يَدَيْهِ الْيَمْنَى. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَمَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طِمَعًا فِي
 الْآخَرَى. فَعَنِّي أَنْ قُلْتُ:

يَسِّرْ مَرًّا لَنَا إِمَامًا تَعْرِفُ مِنْ كَهْفِهِ الْجِنَادُ
 خَلِيفَةً يُدْخِلُنِي وَيُخْرِجُنِي كَمَا أَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلَكُ فِيهِ وَفِي بَيْنِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَقَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَادُ
فَرَمَى بِالْدَّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَادُ (لِلْأَزْدِيِّ)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هُذَيْنِ الْيَدِينِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَالَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَغْنِمْ دُعَائِي وَالْتِنَاءُ الْوَأَفِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

١٨٦ كَانَ الْأَمَامُ فخرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صُمْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلَّتْ نَفْسَهَا فِي حَجَرِهِ كَأَنَّهَا تُسْتَحِيرُهُ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَيْبَانًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَأَمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
(تَارِيخُ الذَّهَبِيِّ)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بِبَغْدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَأَعْرَضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنُ صُنَيْفِي الْخَلَوَقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَذْنَبَتْ مِنْ الشَّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَيْبَانًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا غَرَفَتْ كَيْفَ لَا تَسْرُقُ
وَتَحْرَأَنَ مِنْ قَوْفِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطِيقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَغْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لَا بَنَ خَلْكَانَ)

جريد والفردق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجْتَمَعَ جَرِيدُ وَالْفَرْدَقُ وَالْأَخْطَلُ فِي مَجَاسِرِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسَافِيَةَ خَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ . وَقَالَ لَهُمْ : لِيُقِلَّ كُلُّ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكَيْسُ . فَبَدَأَ الْفَرْدَقُ فَقَالَ :
أَنَا أَتَمَطَّرَانُ وَالشَّعْرَاءُ جَرَبِي . وَفِي الْأَطْرَافِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءٌ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ تَكَ زِقَّ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
قَالَ جَرِيدُ :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءٌ
فَقَالَ : خُذِ الْكَيْسَ فَلَعْمَرِي إِنْ أَمُوتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طَبَقَاتُ الشَّعْرَاءِ لَا بَنَ سَلَامَ)

الرَّكَاضُ وَالرَّشِيدُ

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعْجَبَ مِنْ
فُطْنَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ . قَالَ : جَمِيلَ رَأْيِكَ . فَإِنِّي
أُغْزِي بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ : الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ . وَضَرَبَ يَدَهُ إِلَى الدَّنَانِيرِ . فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

مَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعَالِي
حُبِسْتُ فَمِنْ بَعْدِ الْكُشُوفِ تَبَلَّجُ
بِأَنْفَسٍ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْجَبَسِ هَمًّا وَوَحْشَةً
فَتَبْلُكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهِدٌ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْحَجِّ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ حَجِّ تَبَاعُدُهُ
إِنَّ الْقَنَاطَةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا
فَإِنَّ لِلْحَجِّ تَذْرِيبًا وَتَرْتِيبًا
ثُمَّ قَتَبْتُ أَنْبِيَاءَ فَأَنْبِيَاءَ
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي عَشَرَ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشْيِ . فَصَارَ
يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ رَأْيٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى أُنْتَيْنِ قَوِيًّا
وَتَأَمَّنْتُهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
صُرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثِ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلَّتْ بِالْأَتَاكِكَ عَاجِبُ الْمَوْصِلِ بَنَاتُهُ فَأَنشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ الْبَلْعَةُ مِنْ مَنَحَتِهِ
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا
فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا خَلِجِي وَصَحَابِي قَدْ سُوِّدَتْ
وَمُؤَيَّجِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلُ
وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخْرَجَ الطَّلَامَ إِلَى الْمَسَاءِ هَالًا :

يَا صَاحِبَ الْيَتِّ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَا تَوَا جَمِيعًا
أَدْعَوْنَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَانِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَذْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مَنَاشِيَهْ:

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةً وَالْأَمْسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْ لَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حَكِي أَنْ جُهِورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا أَلْوَالِي
كُلِّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فِيَهْنُونُهُ بِاللَّسَانِ وَيَنَالُونَ مِنْهُ الْجَوَازِ. فَيَنْمُو كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يَمِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ أَرْجَحَتْ
مِنْهَا دِيَارَ مِصْرَ. فَالْتَفَتَ أَلْوَالِي إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ: هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بِنَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضَعٌ لَدَى الْكِرَامِ وَعِنْدَ السَّادَةِ الثُّجْبَا
مَا زِلْتَ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلَمِهَا لَكِنَّمَا رَقَصَتْ مِنْ عَذَابِكُمْ طَرَبَا
الْأَعْمَى وَالْأَعْرَدُ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَانِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصَبَ قَهْدَ الْبَصَرِ
أَجَابَهُ أَعْرَدٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفَتِهِ:

يَأْيٍ مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ أَلَمْتُ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
حَسِبْتُ أَنْ يَفِيَهُ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنْشَدَ صُرْدُ الشَّاعِرِ ابْنُ جَهْرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوَزَارَةِ بَعْدَ الْغَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَائِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَائِهِ
هَزَنَتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ عَارِمًا رَوْنَمُهُ يُفِيهِ عَنْ ضَرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ قَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تَقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجٌ
إِذَا أَرْدَحَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجٌ
نَدِيهِ هِرَّتِي وَأَنْبَسُ نَفْسِي دَفَارُ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرْلَانِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِعَجَلِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمُطُّهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَارِيهِ

٢٠٣ كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبْنُوهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَ
لَكِنْ جَهَلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الالباري)

اولاد تزار عند الافعى

٢٠٤ شَخْصٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ وَإِنَّمَا أَوْلَادُ تَزَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
 قَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلًّا قَدْ رُمِيَ فَقَالَ : أَلْبَعِيرُ الَّذِي رَمَى
 هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةٌ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادُ : وَهُوَ أَتَرٌ . وَقَالَ أَنَّمَارُ :
 وَهُوَ شُرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
 عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ : أَهْوَأُ أَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةٌ : أَهْوَأُ أَزُورٌ .
 قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادُ : أَهْوَأُ أَتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنَّمَارُ : أَهْوَأُ شُرُودٌ .
 قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دَلُّونِي عَلَيْهِ . فَحَلَقُوا أَنَّهُمْ مَا
 رَأَوْهُ . فَلَزِيَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
 فَسَارُوا حَتَّى قَرِبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ . فَتَنَادَى صَاحِبُ
 الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
 الْجُرْهُمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتُهُ يَرْمِي جَانِبًا
 وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةٌ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
 ثَابِتَةً الْأَثَرُ وَالْأُخْرَى قَاسِدَةً الْأَثَرُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
 وَطْنِهِ لِأَزُورَارِهِ . وَقَالَ إِيَادُ : عَرَفْتُ بَتْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَتْرِهِ وَلَوْ كَانَ
 ذِيَالًا لَتَفَرَّقَ . وَقَالَ أَنَّمَارُ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ لِأَنَّهُ كَانَ
 يَرْمِي فِي الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ بَتْرَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
 فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
 فَحَرَّبَ بِهِمْ وَأَصَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَغْرَابِيُّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَّاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ الْحَدَثِ الْخَشِيِّ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبِيَّةً مِنْ الْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَرْزِي
لَهُ حُكْمَ لُقْمَانَ وَصُورَةَ يُونُسَ وَحُكْمَ سُلَيْمَانَ وَعَدْلَ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْاَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُاسَاؤُهُ : هَلَّا اخْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمْرُهُ بِمَثَلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ دَخَلَتْ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَائِدِ فَأَشَدَّهُ :

اللَّهُ جَرَدَ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَّدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضُ الرِّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلَتْهُ حَاجَةٌ فِيهَا بَعْضُ الْغَلْظِ . فَتَلَكَّأَ عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَلَتْ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوُ الْحَمِيدِ مَا جِدْتُ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَضَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لَا بَنَ عِدْرِيهِ)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلٍ خَفَّانَ أَشْبَلُ
 هُمْ يَنْمُونُ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنَ مَنْزِلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاءِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَاجْمَلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِزِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

أَبْنُ الرَّبِيعِ . وَزَيْدُ بْنُ زَيْدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيفَانٌ سَمِيدَا وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَتَشِدُّنِي . فَأَتَشَدُّهُ قَصِيدَةً
 التَّمْرِ يَ الْعَيْنِي فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةُ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَسْمَعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ يَضَعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمُهُ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَآيَا صِلَابُهَا فَرَعُ
 (قَالَ) . فَرَمَى بِالْخَوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ۖ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بَسْبَعَةَ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكِي الْمَنْصُورُ النَّعْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا ۖ فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَأَجَاءَنِي ۖ
 وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقَالَ :

إِذَا اعْتَصَصَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْمِذُ مَقَالًا
 وَعُذْ بِفَنَائِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْقًا وَلَمْ تَذَلَّ سُؤَالًا
 فَنَاءٌ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابُ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : اللَّهُ دَرَكُ لَنْ قَصُرَتْ الْقَوْلُ لَقَدْ أَطْلَتِ الْمَعْنَى ۖ وَأَمْرِي بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ قَصَدَهُ عَجْرُدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرُوهُ زَيْنُهُ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمُ وَالْأَحَدُ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمُ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي حُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَعْدَثٍ
 وَرَبُّهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيِّبَ ثَنَا الْوَارِثِ وَالْمُورِثِ
 فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ ۖ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً ثُمَّ انْصَرَفَ
 ٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرُّقِيِّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُخَلَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدُ مِنْ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِكًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالُهَا

٢١٢ أَنشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضَرَةٌ وَمَنْ فَاعٍ وَارَى الْبَرَامِكِ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا النَّرَى أَشِيرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْزُرْعُ
 فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَافُهُ وَقَدِيعُهُ فَإَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشَّعْرُ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا الْأَسَاعَةَ .
 وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفِئْهُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمِثْلِهَا لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغا نِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخُرَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْراءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافَ خُصَصَتْ بِهَا فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُنْسَبِطٌ
 السِّنُّ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عُيَيْدٍ : لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَتْ عَنْهَا الْمَثَلُ .

فَظَاهَرَهَا لِلْقَبْلِ . وَبَسَطَتْهَا لِلْفَنَى . وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجْلِ . أَخَذَهُ ابْنُ

الرُّومِيِّ ذَا لَإِبْرَاهِيمَ بْنِ الدَّبَرِ :

أَصْبَحَتْ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحْمِلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَأَمْدَدُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِكَ التَّوَالِ وَظَهَرَهَا التَّقْيِيلُ

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَىٰ فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَىٰ
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّيْلُ إِلَىٰ نَدَاكَ بِأَوْعَرٍ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرٍ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرٍ
٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتَكَ الْحَيَاءُ
وَعَلِمْتُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ قَرْمٌ لَكَ الْحَسْبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَانَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَرْضِيهِ الثَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً رَجَدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْجَرَهُ الشِّتَاءُ
٢١٦ قَالَ آخِرُ يَمْدُحِ آلِ الْمُهَلَّبِ:

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خَوِلُوا شَرْقًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلنَّجْدِ جِدْ عَنْهُمْ وَخَلِّهِمْ تَمَا أُحْتَكِمَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا
٢١٧ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ:

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنْ هُزِمَتْ أَنْ أَبْنَ عَمْرٍو لَدَى الْعُجَيْمَاءِ يَحْمِيهَا
لَمْ يُبْدِ فُحْشًا وَلَمْ يَهْدَدْ لِمُظْلَمَةٍ وَكُلَّ مَكْرُمَةٍ يَأْتِي يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُ إِنْ هُزِمَتْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْأَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَزْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةٌ أَبَدًا . وَإِنْ أَلَمْتَ أُمُورٌ فَهَوَّ كَافِيهَا
 ٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْخِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مُحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
 كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأُرْجِ طَابَ مِمَّا جَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
 ٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَعُونَ عَلَى قَرَى الصِّيفَانِ
 وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبُّ الْقَرَى حَطَبًا عَلَى النَّيِّرَانِ
 ٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْأَكْبَرِيُّ لِلْأَمِينِ :

تَعِشْ عُمْرَ نُوحٍ فِي سُورٍ وَعِظَةَ وَفِي خَنْزِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
 تَسَاءِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْتَنِي إِلَيْكَ وَتَرَعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
 ٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَيْعِ رَبِّكَ الْمَدَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْجَحْ
 قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تَرَبَّدَ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تُسْتَعِجِي
 ٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَفْضُ الطَّرْفُ فَضْلُ جَبَانِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّيحِ دَوَانِي
 وَكَأَلْسَيْفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتُهُ خَشِنَانِ
 ٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْحِلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
 ٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْعَمَامِ قَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعٌ أَلَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ الْعَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءٍ
فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بِنْدَةِ مَالٍ وَنَوَالُ الْعَمَامِ قَطْرَةُ مَاءٍ
٢٢٦ قَالَ بَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُتَنَصِّرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكُكَ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ بِمَحْمُودَةٍ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يَرْجَى مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ
يُمْتَنِعُ بِاللَّهِ نَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَتَنَصَّرُ بِاللَّهِ فَأَلَّهُ نَاصِرُهُ
٢٢٧ دَخَلَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ النُّذَيْرِ فَحَيَّاهُ تُحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :
أَيُّفَاخِرُكَ ذُو فَاذِسَ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ
لَا مَسَکَ أَيْمَنْ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَعَاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ
أَبْلَجُ مِنْ رَفْدِهِ . وَلِحَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلِكَيْوَمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلَقَتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :
أَخْلَقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ
مُسَوِّجٌ بِالْعَالِيِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَعَى صَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْخَلْلِ بِالْمَطَرِ
قَتَهَلَّ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ قُوَّةٌ دُرًّا وَيُكْسَى

أَتَوَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جَبَابُ أَعْلُوَائِهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرْدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا قَلْتُمُدَحَ الْمَأْوُؤِ (أَلِفَ بَابِ لَايِ الْحَجَّاجِ الْبَلَوِي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ أَحْنَطِيطِ الْمَسَكِيِّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَمْثِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ بِأَسْرِهِ. فَعُوبَتْ عَلَى
 ذَلِكَ نَاعَتَدَرُوا وَأَنشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَمِّي كَفَّهُ أَتَنِي الْغَنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنْ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 وَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغَنَى أَفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
 فَأَعْجِبَ بِهِمَا الْمُهْدِيُّ وَغَنَى بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَتَنِي عَافٍ وَأَبَتْ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ يَا نَافِلَةُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدٌ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. وَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَتَجَبَّ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِبُخْرَاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدِيَّتُهُ كُلُّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَنَّى يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْيَمِ بَعْدَكَ عُودٌ
وَمَا لِسِرِّ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادِ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَلَبَّتِ الْحُجَّاجُ فَقَالَ: اللَّهُ دَرِّيزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلسَّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (لِإِنِّي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْبِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّظِيرُ
لَمَثَلَتْهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَيُّ أَمْرٍ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْحَقَائِدِ:

يَا سَيِّدَ الْأُمَرَاءِ فَخْرًا قَمَا مَلِكٌ إِلَّا تَمَنَّكَ مَوْلَى وَأَشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَادِيحُكَيْكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْأَنْحِيَا يَطُورُ الدَّهْبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَحْرُ لَوْ دَبَّ
وَالْبَحْرِيُّ فِي الْمَدِيحِ: ٢٣٣

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَانْظُرِي إِلَى الْمُجْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْزَ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَاسٍ وَزِمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
قَلَمٌ يُخْلَقُ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِحِجْدٍ أَوْ لِحُجُودٍ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاةِ وَالْهَجْوِ

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:

لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ يَا نَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَذْفَمُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحِمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَأَتْ مِنَ الْعَلِيَا نَصِيبُ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَتِي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبُ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمَعَالِي أَرَبُ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَى لَا تَرَانِي لِدَعَاةٍ مِنْ حُجُبٍ
٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مَنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَحَبَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةٌ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَبٍ مِنْ نَعَالِي وَرَضَانِي مِنْهَا يَلْبَسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُنَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ فَسِوَايَ إِذَا بَرِنَ يُنَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ قَاتِي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَاهِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَّانِي الْحَمَاءَ وَبَلَّغَنِي الْحَمَاءَ مِنْهَا فَأَتَيْتِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعْرِضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاءُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى أَلْهَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُرُوفُ بِحِظَّةِ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنْاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضَعُوا حَدِيثًا لِلتَّوَالِ الْمَشْهَرِ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ خَيْرٍ وَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَقَرٍ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقُرَازِيِّينَ :

وَالَا يَكُنْ عَظِيمِي طَوِيلًا فَأَتَيْتِي
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبِلَهَا
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْتَانِي مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ كَالْمُرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ
فَلَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
إِذَا لَمْ تَرِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
بِمَارِقَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُخَيِّمَنَّ أَصُولُ
فَحَلُّوْا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَبِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ
وَلَكِنَّا أَسْعَى لِعَجْدٍ مُوْتَلٍ
كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَقَدْ يَذْرُكُ الْجَدُّ الْمُوْتَلُ أَمْتَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْقُرْسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذْمَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَيْدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَا لِي لَا أَدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
 أَحْتَالُ لِلْعَمَالِ إِنِ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنِ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُلْفٍ الْعِجْلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا لِمَا نَابَهُمْ قَدَمًا وَأَعَشَى الدَّوَاهِيَا
 وَأَقْتَحِمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَفْتَحِمُهُ لِأَذْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الآغاني والحماسة)

المجرب

٢٤٥ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي بَحِيلٍ :

سَيَّانٍ كَسَّرَ رَغْفِهِ أَوْ كَسَّرَ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
 فَارْفَقَ بِكَسْرِ رَغْفِهِ إِنِ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهِ
 وَزَّاهٍ مِنْ خَوْفِ التَّزْوِ لِي بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَّانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيتٌ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُ أَعْدَةَ الْقَاسِدَةِ
تَخَوَّفَ نَحْمَةَ أَضْيَافِهِ فَعَوَّدَهُمُ أَكْلَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَّارُ زَيْدٌ فِي طَيْبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ فُومُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ نَجَاةُ الْأَنَامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمِّ تَنَامِ
٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَاقَانِيَّ كَانَ صَبُورًا كَثِيرَ التَّقَلُّبِ
فَكَانَ يُؤْتِي الْعَمَلَ الْوَاحِدَ عِدَّةً مِنَ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عَشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُؤْتِي ثُمَّ يَنْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا :

رَأَى الصَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَتَفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السَّيْفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا وَظَنَّنَا بِأَنَّنَا نَقُولُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَيْبِيَا فَقَالَ :

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ
لَأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مَرْكَبُ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا نَهَمًا:
إِذَا صَوَّتَ الْهَضْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ:

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَظْمِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ النِّزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ النَّحْوِيَّ:
سَأَلْنَا عَنْ ثَمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَارِئُونَ وَمَنْ ثَمَالَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ فَقَالُوا أَلَا نَزِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةٌ
٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ:

يَا قَبِجَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللَّوْمُ وَالْعَارُ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمِّ ثَمَلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِثَّةٍ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ:
أَلَا حَبَذَا أَهْلُ الْمَلَأَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلَا حَبَذَا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْنُوحَةٍ مِنْ مَلَاخَةٍ وَفِي اللَّوْبِ مِنْهَا الْخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
٢٥٤ قِيلَ: إِنَّهُ أَفْتَحَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الْأَهِانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ:

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلُنَا سَتَصِيرُ
فَلَدَجَاجَةً رِيشُ أَكْكِنَهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وَقَدْ ابْنُ كُلْدَةَ الثَّقَفِيُّ عَلَى كِسْرَى فَأَنْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
 كِسْرَى : مَنْ أَنْتَ . قَالَ : أَنَا الْحَارِثُ بْنُ كُلْدَةَ . قَالَ : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ .
 قَالَ : نَعَمْ وَمِنْ صَحِيحِيهَا . قَالَ : فَمَا صَنَاعَتُكَ . قَالَ : طَبِيبٌ . قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ
 الْعَرَبُ بِالطَّبِيبِ مَعَ جَهْلِهَا وَضَنْفِ عُمُولِهَا وَقِلَّةِ قَبُولِهَا وَسُوءِ غِذَائِهَا .
 فَقَالَ : ذَلِكَ أَجْدَرُ أَيْهَا الْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا
 يُصْلِحُ جَهْلَهَا وَيُقِيمُ عَوَجَهَا . وَيُسَوِّسُ أَبْدَانَهَا . وَيُبَدِّلُ أَسْنَانَهَا . قَالَ
 الْمَلِكُ : كَيْفَ لَهَا بِأَنْ تَعْرِفَ مَا تَعْمَدُ عَلَيْهَا . لَوْ عَرَفْتَ الْحَقَّ لَمْ تُنْسَبْ
 إِلَى الْجَهْلِ . قَالَ الْحَارِثُ : أَيْهَا الْمَلِكُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ قَسَمَ الْعُقُولَ بَيْنَ
 الْعِبَادِ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ وَأَخَذَ الْقَوْمَ نَصِيحَتَهُمْ . فَقَبِيهِمْ مَا فِي النَّاسِ مِنْ
 جَاهِلٍ وَعَالِمٍ وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ . قَالَ الْمَلِكُ : فَمَا الَّذِي تُجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ .
 وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . قَالَ الْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ تَخْبِيَةٌ . وَقُلُوبٌ
 جَرِيَّةٌ . وَعُقُولٌ صَحِيحَةٌ مَرْضِيَّةٌ . وَأَحْسَابٌ نَقِيَّةٌ . فَيُرْقُ الْكَلَامُ مِنْ
 أَفْوَاهِهِمْ مُرُوقُ السَّهْمِ مِنَ الْوَرِّ . أَلَيْنَ مِنَ الْمَاءِ . وَأَعَذَبَ مِنَ الْهَوَاءِ .
 يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ . وَيُضْرَبُونَ الْهَامَ . وَعِزُّهُمْ لَا يَرَامُ . وَجَارُهُمْ لَا
 يُضَامُ . وَلَا يَرُوعُ إِذَا نَامَ . لَا يُقْرُونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ . مَا
 خَالَا الْمَلِكُ الْهَمَامَ الَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنَامِ . قَالَ كِسْرَى :
 لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ عَرَبِيٍّ لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا وَخَصِصْتَ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْحَقَقِ
 فِطْنَةً وَقَهْمًا . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْطَائِهِ وَصِلَتِهِ وَقَضَى جَوَائِجَهُ (لابن عبد ربّه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْأَلْغَازِ

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مُهْفَفِ
يُسْتَتُّ شَمْلَ الْحُطْبِ وَهُوَ جَمِيعُ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَتَعْنُو لَهُ مَلَاكُمَا وَتَطِيعُ
حَمَى الْمَلِكِ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتِ مِجِي
يَهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيعُ
وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضْبٍ رَاكِمٍ سَاجِدِ
وَدَمَعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُؤَاطِبُ الْحُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا
مُنْقَطِعُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

فَلَا هُوَ يَمِشِي وَلَا هُوَ مُقْعِدُ
وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لَا مِسِ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتُ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَرَى فِي الْمَجَالِسِ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِمَا بِهِ
يَدِبُ دُجِيًّا فِي الدُّجَى وَالْحَنَادِسِ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَصْنَتِ يَجْنِيهِ
وَتُفَرِّى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِسِ
وَهِيَاتَ يَبْدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ أَلَمِينَ تُخَمِّرُ شَانَهُ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهَيْفَ مَذْبُوحٍ عَلَى سَدْرِ غَيْرِهِ
يُتَرْجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
رَأَاهُ قَصِيرًا كَلَّمَا طَلَالَ عُمُرُهُ
وَيُضْحِي بِلَيْفَا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ صَمِيرَ الْقَلْبِ بِأَحْسِرِهِ إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتَهُ الْأَصَامِيرُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْمَحْكَمَاتِ وَجَمَانُهُ صَامِتٌ أَجَوَفٌ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خَفِيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرِفُ
٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلْتَزَمٍ فِي دَوَاةٍ :

وَمُرْضِعَةٌ أَوْلَادُهَا بَعْدَ ذَنْبِهِمْ لَهَا لَبَنٌ مَا لَذَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالْتَدِي رَأْسُهَا وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَالتَزَّ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِيزِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ يَغْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يُخَكِّمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءٍ أَعْمَى يُرِي الْأَرشَادَ كُلَّ رَاءٍ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ يُغْنِي عَنِ التَّعْصِيجِ بِالْإِيمَانِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءٍ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النَّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عُلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرَبٍ
أَلَا خَبِرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُوكَلُّ أَحْيَانًا طَبِيعًا وَتَارَةً قَلْبًا وَمَشُورًا إِذَا دُسَّ فِي الْأَهْبِ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَيْرُونِي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ
٢٦٤ الْغَزَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحُشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهِ أَكْبَهُ غَيْرُ بَاحِحٍ بِسَرٍّ وَذُو الْوَجْهَيْنِ لِلْسَرِّ مُظْهِرُ
تُجَاجِكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ قَسَمَهُمَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ
٢٦٥ قُلْعُ لِأَسَامَةِ بْنِ الْمُنْقِذِ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغَزَا :

وَصَاحِبٌ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتُهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى لِسَعْيِ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاطِرِي أَفْتَرَقْنَا فَرَقَةً أَلَا بَدِ
٢٦٦ الْغَزَا بْنُ زَكْرِيَّا بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيُّ فِي نَعْسِ أُلُوتِي :

أَتَرَفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَتَّبِعُهُ أَسِيرُ
يُخْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرْزَعَنْ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ وَاسْكُنْ عَلَى رَغَمِ الزُّورِ يَزُورُ
٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بَهَاءَ الدِّينِ زُهَيْرُ وَزِيرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْغَزَا فِي قُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ الْأَحْلِ الْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحَرَصُ وَالْمَنْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ أَفْزُ فِي طَاحُوتَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلَ سَاعَةً
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا ثَلَاثَ ثَمَنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبَ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَاقِفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ :

وَمَا أَسْمُ ثَلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَعَا
لَهُ طَلْعَةٌ تُنْفِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

٢٧١ قَالَ آخَرُ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعْدِسُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تَهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ يَحِثُّ يَذْرُكُهُ

٢٧٢ أَلْفَزَ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوَنِ :

خَيْرَ نِيَّ أَيِّ شَيْءٍ
وَأَبْنَاهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ قَهْ
يَرْفُسُهُ وَيَلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَّاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ رَحْمَةٍ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِزَّةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاءَهَا فِي الْحَبِيِّ وَفِي الدَّهَابِ

بَعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَقْتَ لِدَمْعِ ذِي انْسِكَابٍ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسُ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْغَزَ الصَّلَاحُ الصَّفْدِي فِي عِيدٍ :

يَا كَانِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلُ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى فِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجٍ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَا رَجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَاقَى فَوْقَ طُورِ السَّمَاءِ
٢٧٧ قَالَ الْحَاتِمِيُّ مُنْغَزَا فِي بَابِ بَصْرَاعَيْنِ :

عَجِبْتُ لِعَرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَبِينَانِ طُولَ الْأَلِيلِ يَعْتَمِقَانِ
إِذَا أَمْسَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصَدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوَازِ :

وَأَسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ تَلْقَاءُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
تَرَاهُ مُعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا قَالَهُ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَنْهَهُ
بِالْلَفْظِ. وَيَعَانِي فِي النَّظَرِ، مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَبْغِي التَّنْصِيعَ قَرْضًا
يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يُلْزَمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَقْرَعَ فِي الْحُدْمَةِ
جَهْدُهُ. خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَذَلَ عَفْوَهُ. أَثْبَتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَحِيلَ.
وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَحِيلَ (لِلْمَالِي)

٢٨٠ تَقَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ قَالَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لِنَافِضَةٍ إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَابًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَشْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَّهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَحَبَّ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَفَضَى حَاجَتَهُ (لِلشَّرِيشِيِّ)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ الْخَيْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْأَمْشِيرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُحِبًّا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالَهُ:

جَاءَ الْأَمْشِيرُ وَالْأَفْرَاسُ يُقَدِّمُهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَخَلْفَ الرِّيحِ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَرَمَّ يَخْتِطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظْرَا
فَأَجْزَلَ صَلَاتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُحِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الْإِغَانِي)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا يَدِيكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا لِصَلَاتِي. وَأَعِدُّهَا لِعِدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي. وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشِيَّتِي لِتَسْعَ خَطْوِي. وَأَتَبُّ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُوْبُنِي الْعَثَرَ. وَأَلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي فَيَقْبِلُنِي الْحَرُّ. وَيُجَنِّبُنِي الْقَرُّ. وَتُذِنِي إِلَى مَا بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ تَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعِلَاقَةُ أَدَوَاتِي. أَقْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ. وَأَلْقِي بِهَا عَثُورَ الْكِلَابِ. وَتُثَوِّبُ عَنِ الرَّيْحِ الطَّعَانَ. وَعَنِ السَّيْفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْنَهَا عَنْ أَبِي وَسَأُورِثُهَا أَبْنِي مِنْ بَعْدِي. وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَلَبٌ أُخْرَى. فَبِهِتَ الْحُجَّاجُ وَأَنْصَرَفَ (لِبَهَاءِ الدِّين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْحَفَّ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ. وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَحْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا طَلَعَ أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُمُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِتَاؤُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ شَاشِعٌ. وَسِرُّهُ ذَانِعٌ. وَلَوْ نُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بِلَاقِعٌ. رَدْيُهُ الْمُنْظَرُ. سَبْيُهُ الْمُنْخَبَرُ. يَبْجُلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوطِبَ تَفَرَّ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنْ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكُتِبَ : مَعْقُولٌ مُجْهُولٌ . وَاحِدٌ لَا تَغْيِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مُدْرِكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ : تَوَمُّ لَا
 أَنْبَاءَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى . نَقِيضُ الْبَيَّةِ . انْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ .
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ . شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ . فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ . سَفَرُ الْبَدَنِ .
 قِتْدَانُ الْإِخْوَانِ . وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ : شَرٌّ يَتَنَبَّأُ . مَرَضُ
 الْأَصْحَاءِ . مَوْتُ الْحَيَاةِ . صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ : خَادِمُ الشَّهَوَاتِ . هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ . شَرٌّ مُجْهَبٌ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ : تَصْوِيرٌ طَبِيعِيٌّ . زَهْرَةٌ تَذُبُّلُ . وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ : عَيْنُ الظَّلَاكِ النَّهَارِيِّ . عِلَّةُ الْعَوَرَاتِ . وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ . وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ : عَقِيبُ الشَّمْسِ . سِرَاجٌ لَيْلِيٌّ . وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ :
 مَلْعَبَةٌ أُلْجِئَتْ . مَطْلُوبُ السِّنِينَ . أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ . وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ : قَاعِدَةُ الظَّلَاكِ (عَلَى زَعَمِ الْأَقْدَمِينَ) . أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ .
 أُمُّ الثَّمَرَاتِ . وَسُئِلَ عَنِ الظَّلَاكِ فَكُتِبَ : خَادِمُ الْغِذَاءِ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ :

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوْتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ تَحْمُودٌ كَاتِبًا فَقَالَ : وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ . وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ جِيَادِ الْمَعَانِي . فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَمِنْهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ . فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُرْقَهَا وَازْيَلَّتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ ثُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَغْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٌ يَمِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتُقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتُقُ الْمُلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقًّا فِي لَطِيفَاتِ الطَّيَافِيرِ
وَاللَّبِّ مَا بَيْنَ قَشْرِهِ يَلُوحُ أَنَا كَأَنَّ السِّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتُقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مُجَرَّدِ
سِوَى الْفُسْتُقِ الرُّطْبِ الْحَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيْتٌ بِتَفَرُّدِ
غِلَالَةِ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فَضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَلْبُ زَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَزْمُوعِيِّ يَصِفُ الْجَلَنَارَ :

بَدَأْنَا الْجَلَنَارُ فِي الْقُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَلِيبِ
كَأَنَّمَا أَكْثُوسُ الْعَمِيقِ بِهِ قَدْ مَلَأَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ الْأَنْدَى شُعِيرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِقِ تُسَمِّكُ
فَلَمْ تَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنَ النَّوْرِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّيْعِ فِي آذَارٍ وَيَإْشْرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأَفْخَوَانٍ وَوَرْدٍ وَخُزَامَى وَزَرْجِسٍ وَبَهَارٍ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَّا زَى الْأَرْضِ فَدَأْعَطْتَكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
قَالِ السَّمَاءُ بُكَاءً فِي جَوَانِبِهَا وَالرَّيْعُ أَيْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْقَعَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْتَلَهَا لَمْ تَهْتِكِ الْأَرْضَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجَلِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْطَّرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَاهِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَهُوْ فَذَا مَيْتٌ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفَدُ الرِّيْعُ مُبَشِّرًا يَطْلُوعِ وَفَدَتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبَرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَافِهُ فَهِنَّ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ نُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفَقُ يُسْفِرُ نَارَهُ وَيُقَطِّبُ
وَكَاَنَّ مُحْضَرَ الرِّيَاضِ مَلَأَهُ وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طِرَارُ مَذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَقِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمْتُ نَبْهِي بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرَعُ الْتَوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطُّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَلِ :

حَازَ السَّفَرُ جُلُ لَذَاتِ الْوَرَى قَعْدًا عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالتَّفْضِيلِ مَشْهُورًا
كَالْأَرَاكِ طَعْمًا وَثَمَّ الْمِسْكِ رَاحَةً وَالتَّبَرِ لَوْنًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرًا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بَغِيرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لَا كُفْلٍ وَمَصْرَبٍ وَرَشْفٍ
كَلَّتْ فِي أَسْتَوَالِهَا وَأَسْتَقَامَتْ بِاعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلُطْفٍ

٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَعَهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي قَعْدَتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي

٣٠٠ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنَيْتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبَهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِأَرَاكِ أَغَادِيهَا وَكَأْسِ أَدِيرُهَا

مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزَهَّةُ أَعْيُنٍ وَلَهُمْ لِنَفْسٍ دَائِمٌ فِي سُرُورِهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرِّيعُ بِإِلَادِهَا فَفِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَعَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشِّطْرِ نَجْمِ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِ :

يَا عَائِبَ الشِّطْرِ نَجْمٍ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشِّطْرِ نَجْمٍ مِنْ بَاسٍ
فِي قَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَيْعِهَا شُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَسْغُلُ أُلْهَامٌ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبُ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
 وَصَاحِبُ الْحَرْبِ بِتَذْيِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
 وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَاسِ
 ٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ
 مُقْبِلٌ مُذِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذِنٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
 عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَتَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ
 ٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَلَفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ:

النَّحْوُ يُضْلِجُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكْنِ وَالْمَرْءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
 فَإِذَا طَلَبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَاجْلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ
 ٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحَمِّيَّ قَالَ:

وَزَارَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبٍ وَتَنْزِلُ بِالتَّقَى مِنْ غَيْرِ حِيَةٍ
 وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَلْبِهِ
 تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عُظَمَى كَرْبِهِ
 وَتَنْعَمُهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْقَضَ بِمَأْكَلِهِ وَشُرْبِهِ
 أَتَتْ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَبًا بِهِ
 قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْحُلَّانِ:

أَلْقَبُ مِنْ فُرْقَةِ الْحُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالْدَمْعُ كَالْدَرِّ فِي الْحَدِيدِ يَسْتَقِ
 وَإِنْ قَاضَ مَا دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا أَلْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

أَلْبَابُ الرَّابِعِ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَالِى جَانِبِهَا أَرْضُ مُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . قَدْ خَلَّ عَيْدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَيْدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنْهَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَالْكَ شَانُ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أَرَى أَنَّ تَبَعَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُؤْتِيكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِي وَسَاءَ فِي مَا سَاءَهُ . وَالْأَمْرُ
بِأَسْرِهِ هَاهُنَا عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَرَأَتْ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَاضْنُومًا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعِدُّهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحْلَاهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلِّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الرُّبَيْرِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلَمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ آتَمَّ آلَ
إِلَهِهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ شَيْءًا مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فِدَاوِهِ بِمِثْلِ
هَذَا الدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كَانَ الْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَابِطْطَمَ قَدْرَهُ
يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . تَنْقُلُ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَحُجَّةٌ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقِلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ أَعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي كُمِي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخُضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنْ النَّبَاتَيْنِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِتِّمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَدَتْ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْعَجْمُ فِي
سَائِلِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَمَّيْتُهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْهَا . فَقَالَ : اللَّهُ دَرَكُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِي عَمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
لِيُقِيمَ بَدَتِ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَائِنَاتِ
خَائِرَاتِ . فَصَحَّحَ الْمُنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
بِحَبْرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَبْرِ إِلَّا كَرِيماً
وَتَمَثَّلَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمَ مَا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِيلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ تَصْفَحُ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا
(اللابشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آذاهُ لعجوز من قفراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِداً دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصاً أَعْرَابِيّاً
جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : الزَّمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ . فَتَنَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الَّذِي أَمْسَ . وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَرِيَّةٌ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُؤْتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهِمَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَنَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ تَجُوزُ وَحَوْلَهَا صَبِيَّةٌ
يَقُولُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَّا مَا أَتَانِي عَلَيْهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلًا وَيَتَضَعُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعُجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
يُوقِفُكَ سِرًّا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَتْ لِلصَّبِيَّةِ
فَأَكَلُوا وَاشْكَبُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَالَنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاتُ الْعِيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
وَالْعُجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلًا وَيَتَضَعُ الطَّعَامُ
فَتَأْكُلُونَ. فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَةَ. فَدَرَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارَحُونَ وَيَبْكُونَ.
فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِهِمْ مِمَّا فِي
الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَقَطَّ
إِلَى أَنْ يَضْجُرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا أُمْلَاءٌ يَبْكُونَ.
فَتَجَبَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهُمْ هُمْ أَنْ فِيهَا
شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَعَلَبَ النَّوْمُ عِيُونَهُمْ
نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَلِمَاذَا أَنْتِ هُكْذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخُ
لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرَكَ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيَّا اللَّهُ عُمَرَ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَاتِلَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَةَ يَمَازَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعِيَّتِهِ .
 لَعَلَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيَّقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مَبِينَ وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ يَمُوتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صَبِيَّتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَدَمَّى وَتُتَلَبِّسَ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّاعِي الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُومًا . فَعَمِلَ ذَلِكَ الْفَتَّاحُ الْقَهِيرُ الْحَالُ الصَّبِيحُ الْيَدِ غَابَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيَعْلَمَهُ بِحَالِهِ . فَعَمِلَ عُمَرُ السُّؤَالَ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْقَهِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِأَعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَةَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةُ وَالسَّاعَةُ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَسَيَّرْنَا وَالْكَلابُ تَبَجَّجْنَا وَأَنَا أَطَرْدُهَا وَأَذْبُهَانِي
 وَعَنَهُ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَخَدَّهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَرَّ بِمِيتَا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَظْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَمَلَهُ عَلَى كَيْفِي . فَحَمَلَتْهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْمَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمَنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُذُلَةٍ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدْ أَنهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لَحِيَّتِهِ
وَعَيْنِهِ وَجَبِينِهِ . فَشَدِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْجَمَلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا ابْنِي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلَ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَانِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّامَا هَذِهِ
الْعُجُوزُ تُعَلِّلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَصْبِرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْتَمِشُ لَهْتَ الثَّوْرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَمَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كَيْفِهِ وَوَضَعَتْ
جِرَةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَمَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقِ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدَائِي حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَهَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَثَافِيِّ . وَجَمَلَ يُنْكَسُ رَأْسُهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ لَحِيَّتِهِ وَقَدْ كَسَسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِي رَأْسَهُ لِيَتِمَكَّنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى اشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَمَلَ بِحُرْكَ السَّمَنِ
بَعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَتَحْلَطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أَنْجَحَ وَالصَّبِيَّةَ حَوْلَهُ تَصَارَحُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ . فَجَمَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِنَفْسِهِ لِيَرُدَّهُ
 وَيُلْقِمُ الصَّغَارَ . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَالْتَقَتْ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا خَالَهَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكِ . فَأَثْنَيْتِ
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَجَدَيْتَنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي حِينَ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَلَبْتُهُ لَهُمْ وَاكْتَفَوْا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي . ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَيْنَا لَيْلَتَنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَقَرَّهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (لِلْإِثْنَيْنِ)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حُكِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَانْظَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ
 وَأَمْتَلَأَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَأَذْعَنَ لِأَمْرِ الْجُمْهُورِ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مَرَادِهِ . اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ لَهُمْ وَقَائِعُ أَيَّامٍ ضَيِّقِينَ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكِرِيهَةِ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كَرَاهُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضَ . وَآلَ حَدِيثُهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيسِ . فَقَالُوا : أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تَسْمَى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيٍّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . تَسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحَقَّةٌ لَهُمْ يَقُولُ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَهَاتَلُوا وَالْمَذِيرُ لَا قَبْلَ . وَالْمُسَالِمُ لِحَارِبٍ . وَالْقَارُ لَكُرٍّ . وَالْمُتَزَلُّلُ لَا سِتَرٍ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بئسَ أَشْرَ ثَمَرٍ بِهِ وَفَيْحًا لِمَا قُلْتُمْ . أَيَحْسَنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَهَرْتُ وَقَدَرْتُ قَتْلَ أَمْرَأَةٍ قَدْ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لَلَيْمُ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ تَعَايَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيٍّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفَرَسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَهَذَا لَهَا وَطَاءٌ لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مُقَدِّمٍ قَدِيمُهُ وَإِفْدُ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ سَيْرِكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفِّينَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحْرِضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَاتِ الرَّأْسُ وَبَيَّرَ الذَّبُّ . وَاللَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ قَهْلُ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : اللَّهُ أَبُوكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتُكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرَسَ . وَلَا يَنْقُطُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرْنَاهُ . إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَاصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ التَّمَّ سَمَلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلَامُهُ
الْعَدْلُ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْعَقْوُ وَالْبَاطِلُ . أَفَن كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْإِزَالُ أَنْزَالَ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
أَلَا وَإِنَّ خِصَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِصَابَ الرِّجَالِ الدِّمَا . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِنْتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ تَاكِصِينَ قَهْدَ أَيَوْمٍ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَتَحْمِيضُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكَتِ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ . فَقَالَتْ : أَحَسَنَ اللَّهُ يُشَارَتُكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتِكَ . مِثْلُكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيُسِرُّ جَلِيسَهُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ
وَأَنَّى لِي بِتَصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ قَوْمُكُمْ لَهُ بِدَمِ مَوْتِهِ
أَعَجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ تَرْضَى . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِتَمَتُّكِ . فَقَالَ : لَوْ
مِنَ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَلْعَنَهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَفَعُونِكَ وَنَحْنُ
إِلَيْكَ وَزَعَاكِ . فَمَاتَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
فَقَفَا وَتَجَاوَزَ عَنْ أَسَاءٍ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوءَ
وَدَرَاهِمٍ وَأَفْطَمَهَا ضَيْعَةً تُقَالُ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَائِلَةً وَكُتِبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للابشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خُزَيْمَةُ بْنُ إِشْرِ بْنِ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُؤَاسَاةِ . وَكَانَتْ
نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى احْتَجَّ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُؤَاسِيهِمْ وَيَفْضُلُ عَلَيْهِمْ . فَأَسْأَوْهُ حِينَئِذٍ إِنَّهُمْ مَلُوءَةٌ
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتُهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ الْأَعْمَى
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرَ أَعْمَاءِهِمْ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لَزُومِ بَيْتِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَّقُوهُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَازِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْهَيَاضُ وَالْيَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَيَتَنَاهَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خُزَيْمَةَ بْنِ إِشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
عِكْرَمَةُ الْفَيَاضُ : أَمَّا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ إِسْرَافِيلَ أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ :
لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرَمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرَمَةُ فِي الْكَرَمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
وَقَدْ تَمَّى الْفَيَاضُ لِرِيزَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرَمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَبَعَثَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِإِسْرَافِيلَ دَابَّتِهِ . فَرَكَبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَحْمِلُ أُمَالًا . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُرَيْمَةَ فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَسَلَّمَهَا إِلَى الْغُلَامِ وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرَمَةُ وَقَدْ نَكَرَ صَوْتُهُ : هَذَا أَصْلَحَ بِهِ شَأْنُكَ . فَتَنَاوَلَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرَمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ
فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا تَخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرَمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : زِدْنِي إِضَاحًا . فَقَالَ لَهُ
عِكْرَمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أَمْرَأَتِهِ وَقَالَ
لَهَا : أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَهُوَ بِي أَسْرَجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّرَاجِ لِأَنْتَ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْمُسُ الْكَيْسَ فَيَبْدُو
خُشْرَةً الدَّانِيَةِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرَمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أَمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كُنَّا

وَأَرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنْهَا قَالَ : أَخْبِرْكَ بِالْأَمْرِ فَأُكْمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالٍ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الْخَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبَ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ حَيْدًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرَيْمَةُ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرَيْمَةُ : ضَعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنَهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذِهِ مِنَ النَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَلْتَهَفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَفَيْتَاهُ عَلَى مُرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ . فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لَخُرَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَاقَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَقَبِلَ الْأَرْضَ خُرَيْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَّغَهُ عَزْلَهُ وَأَقْبَلَ لِلْمُلَاقَاةِ خُرَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَقَرَأَ خُرَيْمَةُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُحَاسَبَ . فَحُوسِبَ
 فَقُضِلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَالَبَهُ خُرَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا لِي
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُرَيْمَةُ بِجَنْبِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ بِمَنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعَرَضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتَ . فَأَمَرَ خُرَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرَبَهُ . فَكَبِلَ بِالْحَدِيدِ
 وَغَرِبَ وَضُيِّقَ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْأَهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ فَبَلَغَ
 أَمْرَآتُهُ ضَرْهَ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَانْعَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةً
 لَهَا ذَاتَ عَقْلٍ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُرَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُرَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخُلُوءَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمَكَّةَ فَإِنَّكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْجُنْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَصَلَّتْ جَارِيَتُهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُرَيْمَةُ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسَوْءَ تَأَهُ جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْفَتِهِ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وَجْهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْجُنْسِ . فَصَحَّهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ الْهَيَاضَ فِي قَاعِ الْجُنْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْأَهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُرَيْمَةَ وَوَجَّهَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمُهُ ذَلِكَ فَتَنَسَّ رَأْسَهُ . فَأَقْبَلَ خُرَيْمَةُ وَانْكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَصَلَّهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْتَبَ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : كَرِيمٌ فَمَا لَكَ

وَسُوهُ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
 أَمَرَ بِسُيُودِهِ أَنْ تُثَقِّلَ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رَجْلَيْهِ نَفْسُهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يُصِرَّافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةُ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَى وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسُهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَآخِرُهُ
 بِهْدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَقَرَأَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدُمُ
 عَلَيْنَا بَغِيرَ أَمْرٍ نَامَعُ قَرَبِ الْمَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفَرْتُ بِجَائِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرِكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَحَبَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْأَ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخَارَهُ فِي رِقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَقَضَيْتَ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النُّخْفِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْضِ نَيْبَةِ

وَأَذَرِ بِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خُرَيْمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحوي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحِجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَتَجَنَّبَهُ. فَأَحْتَالَ يَزِيدُ بِجُحْشِنَ
تَلَطَّفَهُ وَأَرْغَبَ السُّجَّانَ وَأَتَمَّأَلَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسُّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْحَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحِجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السُّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَجْبَاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أَجْرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحِجَّاجُ عَذَّبَهُ وَعَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَقْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسَاسِلَةٍ وَغَلَمَاهُمَا جَمِيعًا بَنَلَيْنِ وَحَمَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ فَأَبْدَأْ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلْ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلْنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَاهُنَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَتَخَجُّ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قِيلْنَا عُذْرُكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحُجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَضَرَّ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحُجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَإِنَّكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبَشِيِّ)

عُذْرُكُمْ وَاحْسَنَهُ إِلَى مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتْ الْحِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّفَاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمَ مَجْلِسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّمَّاحُ:
يَا إِبْرَاهِيمَ حَدِّثْنِي عَمَّا رَأَيْتُكَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْهَدُوءِ . فَقَالَ سَمِعْتُ
وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِئًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
الصَّخْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تَزِيدُ الْحَيْرَةَ . فَخَلَيْتُ أَنَّهَا تَرِيدُنِي
فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
أَحَدًا أَخْفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَظَنَنْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ قَدْ خَلَّتْ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُثْبَلًا
عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ قَرَسِهِ وَالثَّلَثُ قَرَأَنِي فَقَالَ لِي: مَنْ
أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَقُلْتُ: رَجُلٌ خَافُ عَلَى دِمِهِ وَجَاءَ يُسْتَجِيرُ فِي
مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكَدْتُ عَنْدهُ فِي
كُلِّ مَا أُحِبُّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَزْكُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَقْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
قَرِيبَ الظَّهِيرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَيْكَ تُدَمِّنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ تَقِيَمُ
ذَلِكَ . فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمًا لَعَلِّي أَجِدُهُ
وَأَدْرِكُ مِنْهُ ثَارِي (قَالَ): فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَدَّرْتُ
تَعْجِيي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ أَلْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مِنْ يَطْلُبُ
دِمِّي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ . ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَسْمِهِ وَأَنْتُمْ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
قُلْتُ أَبَاهُ فَعُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حُكُّكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي
يَلْزِمُنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
الْخُطْوَةَ . فَقَالَ وَمَنْ ذَلِكَ . فَعُلْتُ لَهُ: أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ . فَبَسَّمَ مِنِّي وَقَالَ: هَلْ أَصْبَحْتَ الْإِخْتِفَاءَ وَالْبُعْدَ عَنْ
مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . فَعُلْتُ: لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَأَلْفَتَ إِلَيَّ
وَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِنَارِهِ مِنْكَ
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمْنُ
عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للتلديد)

يوجد معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
مُدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَّيَّأْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَتَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ: أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ الْبُسْتَانَ أَنْ تُعْرِفَنِي
فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنُ بُسْتَانَهُ لِيَتَنَزَّهَ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعْنَا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَمَرَّتْ بِهِ الْحَشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي قُمَالِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَيِّلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كُتِبَ . فَأَنْشَدَهُ الْيَتِ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَلَأَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَّهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَلَأَمَّتْهُ الْحَشْبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْرِ خَافَ
أَنْ مَعْنًا يَرْجِعُهُ عَطْلُهُ وَيَأْخُذُ الْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَلَأَمَّتْهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِإِلَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
يُحْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَغْتَمَّ جَدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ ابْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَارَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشُّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَمَا تَبَنَّى عَلَى شُرَيْبِ الْحَمْرَى فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَتَهُ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَانَ بِكَ وَلَا ضَنْعَنَ .
فَقَالَتْ: نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زَهْرَةٍ لَهُمَا . فَسُئِلَ بِهِمَا وَبَيَّ
إِلَى الْمُهْدِي . فِدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضَرَبْتُ
ثَلَاثِمِائَةً وَسِتِّينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرِمَنِي لَيْسَ مِنِ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَمَنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَغْشِيًّا عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ قَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعَتْ عَلَى عَيْنِي الْمُهْدِي . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ:
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ: فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَحَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شِدْبَةً بِالقَبْرِ فَيَصِيرَ فِي
فِيهِ . فِدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَخَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لَيْسَكُنَ الضَّرْبُ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصِيرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَّتْ بِالنَّزْلِ وَبِالْبَقَى فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاؤُ اسْتَرْجِحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ: أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
فَحُمِّ وَكُنْدُرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقَى . فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَطْلَمَ
الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ النِّعَمِ . فَاسْتَرْحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزْلِ
فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا طَأْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرْحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَاتَانِ مُقْبِلَتَانِ تَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فَمَا عَلَيَّ وَإِمَامِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلَتَا مِنَ الثُّقْبِ الَّذِي

خَرَجْتَا مِنْهُ . فَمَكْنْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لِي أُرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 يَدَارِ الْهَوَانَ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْحَنْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بِلَانِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُنَّ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمُهْدِيُّ وَأَحْلَفَنِي (بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْخَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَغْنِيَهُمَا وَخَلَى سَبِيلِي (الْأَغَانِي)
 المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّهَمَ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :
 يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرُّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبُلْدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدُ الْقَوْمِ أَرْمَلَةٌ عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبَدُ
 وَابْتَرَّتْ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظَلَمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ
 فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :
 فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَفُرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالتَّكْبِيدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَأَنْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْحَضَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

الْمَجْلِسُ أَلَسْتُ إِنْ يُقَضَّ الْجُلُوسُ لَنَا تُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْأَحَدُ
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخَصْمُ . فَقَالَتْ : أَلْوَأَيْفُ عَلَى رَأْسِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . قَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
خُذْ يَدَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْخَصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَتْلُو كَلَامَ الْعَبَّاسِ
فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُورُ : دَعْمَا
يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ ضِعْفِهَا إِلَيْهَا . وَظَامَ
الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكَتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِلَدِهَا أَنْ يُوْغِرَ لَهَا
ضِعْفِهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لأبن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجْوَادِ الْكَرَامِ
فَنَزَلَ مَنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِّفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غُلَامَانِهِ
طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوَكَيْلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَأَمَّا لَكَ تَجِدُ
رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعَا عَلَى عَجْوَزٍ فِي حَيٍّ .
فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبْتَاغُهُ . قَالَتْ : أَمَّا طَعَامُ الْيَمَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَانِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بُسُولُكَ . قَالَتْ : فِي رِغْيِ لَهْمٍ
وَهَذَا أَوَانُ أَوْتِيهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَيْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَتَمَعِّينِ التَّصَفَّ وَتَجُودِينَ بِأَكْلِ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَصْغِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَى السَّاعَةِ فَرْجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيْكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتُكَ وَبِرِّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يُجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ لَهَا أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَمُنُّ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَسْهَرُ الْبَصَرِ
وَأَهْجَعُ الْكُتْرَ الْإِلِيلَ وَلَا أَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَفْرَحُ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَذْخَرْتَ لِي لِيَكُ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :
أَذْخِرُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَيِّبٌ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فَارْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَهَذَا عَظُمْتَ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخُبْرَةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالَكَ . اللَّهُ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُوَثِّرُ فِي الْخُسَّةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَظْلِبْكُمْ وَأَمَّا كُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أَجِبُ أَنْ أَصْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلِّمَ
 شَعْبَكُمْ . فَقَالُوا : إِنْ هَذَا قُلٌّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مَكْفَافَةٍ لِفَضْلِ
 هَدَمَ . قَالَ : أَيْسَرُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْيَيْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا تَحْنُ فِي خَفَضِ عَيْشٍ
 وَكَهَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجْهَهُ نَحْوَهُمْ يَسْتَحْمُهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَالَّ مَبْتَدَأً
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَبَرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَاكَ . وَأَمَرَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْمَقَالِ وَصَدَقَ الْأَعْمَالِ وَطِيبَ الْخَبَرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَقَالَ كَرِيمٌ عَظِيمٌ الْخَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِيَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ بِأَنْ يَسْتَرْقَ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتِ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرِ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيًّا لِحَالٍ رَثٍّ
 أَلْمِيَّةٍ. فَمُنِعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ التَّزَهُّدَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَمَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنْعَهُ أَشْرَطَهُ
 أَزْدِرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعَنَانِ قَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَانِدُ بِكَ مِنْ شُرْطِكَ. فَفَنَاهُمُ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ : نَعَمْ أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَمِيرَ. قَالَ : وَمَا هِيَ. قَالَ : أَنْ تُصْنِيَ
 إِلَيَّ بِسْمِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرَفِكَ. وَتُقِيلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أُنْشَدَ :
 بِيَا بَيْتُ دُونَ النَّاسِ أُنْزِلْتُ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَبِمَعْنَى الْحُجَابِ وَاللَّيْلِ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرِّجَالُ صُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْقُطُوبِ كَأَنَّهُمْ ذِيَابُ جِياعٍ بَيْنَهُنَّ سُرُوفُ
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْهَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا تَرُدُّ أَمْرًا وَأَفَاكَ وَهُوَ لَيْفُ
 وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسٌ وَخُنْدِفٌ وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 تَخَطَّيْتُ أَغْنَاكَ الْمُلُوكُ وَرَحَلْتِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَخَذْتَ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَجَنَّتْكَ أُنْبِيِ الْخَيْرِ مِنْكَ قَهْرَتِي بِيَا بَيْتُ مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ صُفُوفُ
 فَلَا تَجْعَلَنَّ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً قَهْلِي مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ نَحُوفُ
 فَاسْتَضْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ قَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدْرْهَمَيْنِ وَثَوْبًا ثَوْبَيْنِ . فَتُبِّرَتِ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَعَتِ الثِّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحِيرَ الْأَعْرَابِيَّ وَاخْتَلَطَ
عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُفَيْتِكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهَا (للقليوبي)

الخارجي والمتمم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَيْمِ بْنِ جَيْلٍ الْخَارِجِيِّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُتَعَصِّمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مُؤَكَّبٍ وَقَدْ جَاسَ
الْمُتَعَصِّمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَعَصِّمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ كَمَا كَثُرَتْ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
يَا تَيْمِ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبْرِ اللَّهِ بِهِ صَدَقَ الدِّينَ . وَلَمْ شَمْتَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخَذَ شِهَابَ الْبَاطِلِ .
وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . قَالَ ذُو بُوَيْيْنٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَحْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَصَدَعُ
الْأَفئِدَةَ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرُورَةُ وَأَنَاطَمَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِهَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
الَّتِيقُ شَيْبَةِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَشَدَّ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَنَّمَا يَلَا حِظْنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَأَمَّتْ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَرِيٍّ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفَلِّتُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعَذْرٍ وَحِجَّةٍ وَسَيْفُ الْمَنَآيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ
وَمَا خِزْيِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتٌ
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْنُ بَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنَفَّتْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ الْحُدُودَ وَصَوَّوْا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِبَيْطَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوْا
قَالَ فَبِكَيْ الْمُتَعَصِّمِ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْيَأْنِ لَسِحْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَاذٌ
وَاللَّهِ يَا تَيْمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْمِثْلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ وَلِصَبِيَّتِكَ
وَأَعْطَاهُ تَحْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلا استغاث به وكان خائفا على دمه فجزى على احسانه

٣١٨ حَكِي الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْنُصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّقَّاحُ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ رَاجَعَ الْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَنَارُوا فِتْنَةً
عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ
وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْنُصُورِ . فَقَامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبْرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لَا بَتَّاعَ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَذْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بِأَبْهَامَ مُفْتَرِحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا صَبِيحًا جَالِسًا
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ : خَافَ عَلَى دَمِهِ وَقَدْ أَذْرَكَهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مَرَجَا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ادْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ قَدْ خَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ اسْلُخْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ ادْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حُرْمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَبِثْتُ قَلِيلًا أَنْ طَرَقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَلْبِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي. ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرَنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفَقَسُ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَقَفَّسُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حُرْمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيسِي وَتُجَالَسِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مَقَامِي وَأَنَا أَرِيدُ
 الْحَقَّ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَافًى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرُكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتُعْرِفَ قَاهِلًا إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّاْيَ رَأَيْتُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظَلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِيَ وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَّحِبًّا مِنْ غَرَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُغْدَادَ وَلَحِقَتْ بِأَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرِ الْعَمِيقِ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ . فَقُلْتُ : لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَغَدَا أَتِيَنِي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ فَقِدَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِمُتَّقِكَ . فَقُلْتُ : سَمِعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزْكَيْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي . وَلِكثَرَةِ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامًا فِي وَامْرَأَتِهِمْ فَفَرَشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَدِيدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهَا . كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيَرُوحَ عُنُقِي . فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامًا أَنْ يَفْجَأَ وَأُتِيَ
بِأَلْأَنَدَةِ رَعْلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ . فَجَاسَتْ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدَيْنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيَفْكَرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ فَقَالَ : مِنَ الشَّامِ . فَقُلْتُ : أَتَعْرِفُ فَلَانَا أَلَمْ لَا نِي
فِي الشَّامِ . فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي لَمَّا ذَا تَسَأَلَ عَنْهُ . فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفٌ وَعَبْدٌ إِحْسَانِهِ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِيَ فِي زَمَانِ فَتْنَةِ الشَّامِ .
فَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ . فَطَارَ عَنِّي مِنْ

رَأْسِي فَرَحًا بِهِ فَعَجَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقِّقَهُ فَعَمْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَّرْتُ
أَفْقَالَ قُيُودِهِ وَهُوَ يَتَّبِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَتَى ثِيَابَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرُّدُكَ أَنْ تَعْمَلَ لِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْتَ لَدُنْكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنْ بَعْدَادَ بِمَرَّاحِلَ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَيِّدِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَآذَ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَّكَتُ
الْقَلْبَ فِي الشَّامِ وَأَنْ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ عِنْدِي وَدَائِعُ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطَّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنْ إِحْسَانُكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جَدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَقْظُنْ أَنَّي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصُوبٌ وَهُوَ :
دَعْنِي مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَمْضُ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَا عَنْكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلُبْنِي فَأَهْرُبُ وَإِنْ أَمَرَ بِتَلَاكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُخَضِّرُنِي وَتَفْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بِشَيْءٍ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي الْإِلَهَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَقْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَى وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَفَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ . فَأَلْتَرَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُقَهُ أَمْلًا بِمِلْكِكَ
وَأَتَكَلَّأَ عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمُتَّصِرِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْقِتَّةِ وَتُطْلِقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنِي بِإِحْسَانِهِ لِنُفُوزِ بِأَكْرَامِهِ وَتُجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمُتَّصِرُ يَتَأَسَّفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهُ إِنَّهَا لَكَبِيرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا بِي
وَأَتِي إِنْ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ آتَى أَنْ يَهْرَبَ لِحَوْفِهِ عَلَى غُنْيِي
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مُحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتَيْكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتُ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأُحْفَرُتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمُتَّصِرِ وَضَرَبَ
بِرَجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمَضَ مُسْرِعًا وَأَتَيْنِي بِهِ مَكْرَمًا مُوقَرًّا . فَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِرِ فَحِينَ رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَاجْلَسَهُ
بِحَبَابَتِهِ وَآكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّيه الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمُتَّصِرُ مُوقَرًّا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لِيُؤَلِّيه يَأْمُرُهُمْ بِأَكْرَامِهِ وَأَقْيَامِ بَحْوَانِهِ (لِلتَّالِيَةِ)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْهَكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ يَحْلِبُ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَ:

بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَنُورِ التَّجْدِ وَالْحَسْبِ
طَلَبْتُ خَافَةَ الْأَنْوَا مِنْ جَدِّكَ جِلْدَ أَبِي
وَقَضَّكَ عَالِمُ آتِي خُرُوفُ بَارِعِ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَايِي

٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَشَدَّهُ:

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَبَكَانَ بِنَفْسِي الْحَزَنُ فِيهَا وَسَاجُ نَاعِمٍ فَأَتَمَّ زَيْنِي
فَصَدَّقَ يَا فَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تَعُدْ فَتَحْلُمَ فَأَجْعَلَ حِلْمَكَ أَضْعَافًا (لِلْأَزْدِي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْبَغِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ:

فَمَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلنُّوَالِ وَمَنْ لِمَعَالِي وَمَنْ لِلْخُطْبِ
وَمَنْ لِلْحِمَاةِ وَمَنْ لِلْكُمَاةِ إِذَا مَا الْكُمَاةُ جَنُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَا إِلِكِ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ

فَهَاتُ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كُفَّهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ اُنْجَمٌ حَتَّى اَبِي مَنْصُورٍ اُحْلَاثِكَ . فَقَالَتْ : لَا جَازَاكَ اَللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ اِلَّا اَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَعْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارٍ وَنَوَادِرٍ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَايَةً فِي الْحَذَقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكُ النَّاسَ وَأَتَادِرُ فَخَضَرَ خَلْفِي بِمَضْ خَدَامِ الْمُتَضَدِّ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْخَدَمِ فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقْتُ بَيْنَ يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ وَطَيْكَ . فَقُلْتُ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يَعْرِفُ بِابْنِ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ نَوَادِرِ ضَحْكِ الْكُفُولِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي يَصِفَ جَاوِزَتَكَ . فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ أَخَذْتُ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَتَنَظَّرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتَضْحَكُ بِنَوَادِرٍ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَةُ تَعْتَقُ الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَمِسُّ بِهِمْ . قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزُوكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ أَلَا نَمُ أَضْحَكُ أَصْفَقُكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَّيِّنٍ خَفِيفٍ . وَأَلْقَيْتُ فَإِذَا بِجِرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلْيَتٍ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَيْجٌ .
إِنْ أَصْحَكْتُهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَسَرْتُ صَفْعَاتٍ بِجِرَابٍ
مَنْفُوخٍ شَيْءٌ هَيْنٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي التَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالْمُتَاسَاةِ
وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُخَنَّثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِمَارٍ
وَلَا نَادِرَةَ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى أَنْفَدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَقَفَرَتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الضَّحْكَ . وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَسَمُّ . فَقُلْتُ : قَدْ أَنْفَدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشَرَ
صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي فَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشَرَ صَفْعَاتٍ أُخْرَى .
فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَنَاسَكَ وَقَالَ : تَفْعَلُ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَضَفَعْتُ الْجِرَابَ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَضَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفَصِلَ رَقَبَتِي
وَبَطْنَتْ أَذُنَايَ وَأَنْفَدَحَ الشَّعَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَخِجْتُ : يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتَكَ . فَقُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْحَيَانَةِ .
وَقَدْ صَنِمْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَذْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نَصِيْبِي وَبَقِيَ
نِصْفُهُ . فَصَحَّكَ حَتَّى اسْتَلَقَى وَاسْتَفْزَهُ مَا كَانَ سَمِيعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ . وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جَنَابِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَانِبِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نَصِيْبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيْبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمُسْكَنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا آخِذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَاوِزُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْكَ مِنْ عَنَابِي لِلخَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نَصِيْبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِرْهَمٍ . وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعَكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكًَا لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَبْنَى الْأَمَانَةِ . فَقَسَمْتُهَا بَيْنَنَا وَانْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِأَبِرْهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَابِرْهِيمَ الْأَوْصَلِيِّ وَأَبْنَى
جَامِعَ : بَاكُرُونِي غَدًا وَلِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
أَبِرْهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : قَسَمْتُ فِي السَّحَرِ وَجَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَصْنَعُهُ فَلَمْ تَبْقَ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ نِفْلَانِي وَقُلْتُ لَهُمَا :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زِينَتٍ لِي يَسْتَوْنَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَكُنْتُ فَرَكِبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمَ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَأَعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْسُخَ فِي قَلْبِهِ . فَجِئْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَمَارَلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْحَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّي غَنِي . فَأَنْدَفَعْتُ
فَقَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمُوصِلِي فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَّغْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِي فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَتَى هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَعَ وَصَدَقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَهُ بِهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ . (الاعاني)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُرْدُ أَنَّ الْمُهَلْبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ اشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عِلْمَةَ الْيَحْمَدِيِّ : أَمِدْنَا بِجَنَيْلِ
الْيَحْمَدِ . وَقُلْ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَمَاعِهِمْ لَيْسَتْ بِتَحَارِ قُتَارَ . وَأَعْنَاهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ قَتَبَتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِعَيْرِ جُرْمٍ . تَدَقُّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا الرِّاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ . وَمَا لِي غَيْرُ هَذَا الرِّاسِ رَاسُ
ثَقِيلٌ وَظَرِيفٌ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّمَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ حَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى حَمَلٌ	خُذْ وَأَنْصَرِفِ الْتَمِي جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطَلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلٌ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ	قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ حَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَانْكَبُوا	إِذْنٌ عَلَيْكُمْ لِي سَجَلٌ
قُلْتُ لَهُ الْتَمِي سَجَلٌ	فَاضْنِ لَنَا أَنْ تَرْتَجِلَ
قَالَ تَرَى أَصْجَرَ كُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثَقَلْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوَّكَبَ الشُّؤْمِ وَمَنْ أَرَبَى عَلَى تَحْسِرِ رُحْلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى إِسْنَانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي أَمْتَحَانِ
الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ خَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشْرَةَ وَالْمَيْتَةَ ذَوْهِيَّةَ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْفَظُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَائِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَعْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهَلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَمَدَّيْتُ
السُّكَّانَ وَالْجُلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَأَمَّا كَانَ مِنَ الْقَدْحِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذِكْرٌ فَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَتَجَاوَزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لابي القوج)

هنا الى القاسم الطنبوري

٢٢٧ حكي أنه كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري .
وكان له مداس صار له وهو يلبسه سبع سنين . وكان كلما تقطع
منه موضع جعل مكانه رقعة إلى أن صار في غاية الثقل وصار الناس
يضربون به المثل . فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج . فقال له
سمسار : يا أبا القاسم قد قدم إلينا اليوم تاجر من حلب ومعه حمل
زجاج مذهب قد كسد فاشتره منه . وأنا أبيعك لك بعده هذه المدة
فتكسب به المثل مثلين . فمضى واشتراه بستين ديناراً . ثم إنه دخل
إلى سوق الطيارين فصادفه سمسار آخر وقال له : يا أبا القاسم قد
قدم إلينا اليوم من نصيبين تاجر ومعه ماء وزد في غاية الطيبة
ومرادك أن يسافر . فاحمله سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصاً وأنا
أبيعك لك فيما بعد بأقرب مدة فتكسب به المثل مثلين . فمضى أبو
القاسم واشتراه أيضاً بستين ديناراً أخرى وملاؤه في الزجاج
المذهب . وحمله وجاء به فوضعه على رف من رفوف بيته في الصدر .
ثم إن أبا القاسم دخل الحمام يغتسل . فقال له بعض أصدقائه يا أبا
القاسم أشتعي أن تغير مداسك هذا فإنه في غاية الشناعة
وأنت ذو مال من حمد الله . فقال له أبو القاسم : الحق معك
فالسَّمْع والطاعة . ثم إنه لما خرج من الحمام وليس ثيابه رأى بجانب
مداسه مداساً جديداً فظن أن الرجل من كرمه اشتراه له فلبسه

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسُ الْقَاضِي جَاءَ
فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا
خَرَجَ فَتَشَّ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَتَا أَتُرُونَنِي أَنَّ
الَّذِي لَيْسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرَكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
فَارْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَاكْبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً
وَعَرَّمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةٍ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَقَاصَ فِي
الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ قَطَعَ فِيهَا الْمَدَاسُ . فَلَمَّا
رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالْظَّاهِرُ
أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةٍ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
فَنَظَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ أَلَيْتٍ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى أَلَيْتٍ
فَسَقَطَ عَلَى الرِّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَاهُورَاهُ أَهْرَبَنِي هَذَا الْمَدَاسُ
الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَرْتَاحَ مِنْهُ .
فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حَسَّ الْحُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْتَبِ عَلَيْهِمْ . فَارْتَفَعُوا
إِلَى الْحَاكِمِ فَارْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنَّ تَنْقَبَ عَلَى جِيرَانِكَ حَايَظَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ التَّيْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَيْفِ الْحُلَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَنِيفِ فَقَاضَ وَضَخِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَقَشَّوْا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 قَتَمَلَوْهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَبَّخَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَنِيفِ فَغَرِمَ جَمَلَةً مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ رَمَةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَظَنُّوا
 وَقَشَّوْا مِنَ الْمَدَاسِ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَزَعَمُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْجُرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَمَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنْ كَلَامًا بَرِيًّا مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا يَفْعَلْ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذْ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٣٨ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقَلَّةَ الَّذِي
انْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِمُلُوكِ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدَيْهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقَلَّةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ بِمُؤَنَةٍ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَذَرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي اللَّهُرُّ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَتْ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَتَبَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

مُهْجَرَةً ظَهَرَتْ فِي حِصَارِ مَدِينَةِ وَبَدَ

٣٣٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِسْطِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَذْفَنَشِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ تُسَمَّى وَبَدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفَنَشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَبَرَحَ بِهِمُ الْمَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطْمَعَهُ فِيهِمْ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَظَمَتِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَتَسَوَّاءُ عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَفْظَ عَظِيمٍ
وَجَلْبَةَ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنْجِلَهُمْ وَاجْتَمَعَ قِسْيُسُوهُمْ
وَرُهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيَوْمَنْ بِأَقِيمِهِمْ . فَبَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ . كَأَنَّهُ الْقَرَبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِيجِ . فَشَرَبُوا وَارْتَوَوْا وَتَوَوَّاعًا عَلَى السَّمَاوَاتِ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْحَلِيقَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْطِيلِيَّةٍ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَنَشَ (لِلْمَرَاشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ . وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مَصْرَ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُيُوتَانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مُجَلَّلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيْبَاجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعَمِيدِ
الْكِبَارِ سَمَاءً بَيْضَاءَ أَكْثَرَهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَحُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّمَاغِجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبِهَ الرُّوضَةَ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْمُجَزَّعِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَخَلَّاهُ الْعَتَقُولُونَ . وَالْمُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مُسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي النَّاتِقِ . حِطَّانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمِرْآةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلِتَرَاحِمِ النَّاسِ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكِبَاتِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْجُودِهِمْ بِهِ وَبِالْكُسُوفَةِ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (لِلشَّرِيشِي)

٣٣١ نَسَخَهُ مُبَايَعَةَ مَلِكَ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوُرْدِيِّ نَظْمًا :

يَا نَسَمِ إِلَهَ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ سَفَرَا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْدَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلْقِ
 قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَأَقَمَهُ يَكُورَةُ الْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 اشْتَجَرَ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
 وَذَرَعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذَّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِإِلَّا ذِرَاعِ
 وَذَرَعُهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعُ بَالِيدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكَ أَلْتَقَى وَحَازِرُ الرُّومِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكَ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَالْغَرْبِ مَلِكَ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 يَبْعًا صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا ثُمَّ شَرَاءٌ قَاطِعًا مَرْعِيًّا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ قَبِيلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهُ
 فِيمَنْ مَبْلُغُهُ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمُ جِدَّةٌ مَبْيُضَّةٌ
 قَبْضُهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَأَقِيه وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةً
 وَسَلَّمَ الْأَرْضُ إِلَى مَنْ اشْتَرَى قَبْضُ الْقِطْعَةِ مِنْهُ وَجَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ الْفَرَقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلُّقُ
 وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي يَسَاجِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةِ الْهَجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مروءة اسماعيل المزرعي

٣٣٢ نَازَعَ الْحَلِيفَةُ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قُرَاةِ ابْنِ قَوْمَتِهِ وَأَتَتْهَا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيُ مَنْ وَاقَعَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خَبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخَيِّفُ
 مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فَقِدَ وَلَمْ يُعْلَمَ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ.
 فَأَعْلَمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ ثَوْرٍ مِنْ خِيَارِهِمْ.
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْهَزْرَجِيُّ. فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمَعَ حَوَائِجَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَةً. قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْحَبَاءِ وَتَدْعَنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلَمْ لَهُ بِمُرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْحَبَاءُ لِأَنَّهُ
 اعْتَجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ فَقَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرَدَّ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرَأُوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَائِشَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا. فَاتَوَّأَ الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ.
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَمِيدُ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَمِيدَ غَلَبَهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَصَبُّوا وَجِعُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَائِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بَلَّغَهُ أَنَّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مَتَرِ بَصُونِ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَقَدِّمُ
الَّذِي كَرِيَ فِي الْحَبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ أُنْتَبِىَ ذِكْرُنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَأْسِكِ إِلَى حَبِيزِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِنَفْسِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدُفِنَ (لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَشِيِّ)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ أُمْرَأَةٍ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَعَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَذَبَاءَ حَذَابِيرٍ . وَصَنَّتِ الْمَرَاضِعُ
عَلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبْضُ بِقَطْرَةٍ وَأَيُّنَا بِالْمُهْلَاكِ . قَوْلَ اللَّهِ إِنَّا لَنَاقِي لَيْلَةٍ صَنِيعٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَيِّتُنَا جُرْعَاءَ عَبْدِ اللَّهِ وَعَدِي وَسَعَاءَتِهِ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّيِّمِينَ وَقَتُّ أَنَا إِلَى الصَّيِّبَةِ قَوْلَ اللَّهِ مَا سَكَنُوا إِلَّا بَعْدَ
هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّلُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَأَوَّسْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ أَلَيْتِ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَةٍ يَتِمَاعُونَ عَوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ . مَوْلَا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَعْجِبِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمْشِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَا نِعْمَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى قَرَسِهِ فَوَجَأَ كَتَبَهُ بِمُدِيَّةِ
فَحْرٍ . ثُمَّ كَسَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى الْحَمِّ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمْشِي فِي الْحَيِّ بِأَتِيهِمْ بَيْنَنَا
بَيْنَا فَيَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَانْتَهَجَ فِي نَوْبِهِ

فَاجِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مَرْعَةً وَإِنَّهُ لَا خَوْجُ إِلَيْهِ مِنْهَا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارِ أَقْلِي الْيَوْمَ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبِلَا
يَرَى الْبَحِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إِثَارَ ابْنِ مَامَةَ الْيَادِي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْيَادِي فِي قَتْلِ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَصَافُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَنْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدَرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَمَا تَزُولُوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَنْبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى أُنْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمْرِيَّ يُحْدِثُ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرُهُ بِمَانِهِ وَقَالَ لِلْسَّاقِي : أَسْقِ
لَنَاكَ النَّمْرِيَّ فَشَرِبَ النَّمْرِيَّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
زَلُّوا مِنْ الْعَدَمِ مَنَزَلَهُمْ الْآخَرَ فَصَافُوا بَقِيَّةَ مَا بِهِمْ . فَظَنَرَ إِلَيْهِ كَنْظَرُهُ
أَمْسَ . وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسَ . وَارْتَحَلَ الْيَوْمَ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ
ارْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوضِ وَكَانُوا قَدْ قَرَّبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رَدِّ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدٌ . فَجَزَّ عَنْ الْجَوَابِ . وَأَبَا أَيْسُوَا مِنْهُ خِيَوَا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعْيِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَزَكَّوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومنات

٣٣٥ من عجائب مَدِينَةِ سُوْمَنَاتَ هَيْكَلٌ فِيهِ صَنْمٌ كَانَ وَاقِعًا فِي وَسْطِ الْبَيْتِ . لَا بَقَايَةَ مِنْ أَسْفَلِهِ تَدْعُهُ وَلَا بَعْلَاقَةَ مِنْ أَعْلَاهُ تَمْسُكُهُ . وَكَانَ أَمْرُ هَذَا الصَّنَمِ عَظِيمًا عِنْدَ الْهِنْدِ مَنْ رَأَاهُ وَاقِعًا فِي الْهَوَاءِ تَعَجَّبَ . وَكَانَتِ الْهِنْدُ تُحْجُونَ إِلَيْهِ وَيَحْمِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَا كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ وَكَانَ لَهُ مِنْ الْوُقُوفِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ . وَكَانَتْ سِدَنَتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِعِبَادَتِهِ وَخِدْمَةِ الْوُقُودِ . وَأَمَّا أَلَيْتُ فَكَانَ مَبْنِيًّا عَلَى سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً مِنْ السَّاجِ أَلَمْصَحَّ بِالرَّصَاصِ . وَكَانَتْ قُبَّةُ الصَّنَمِ مُظْلِمَةً وَضَوْءُهَا كَانَ مِنْ قَنَادِيلِ الْجَوْهَرِ الْأَقْيَقِ . وَعِنْدَهُ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٍ كُلَّمَا مَضَتْ طَائِفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ حَرَكَتْ فَصَوَّتُ الْأَجْرَاسُ فَيَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ لِلْعِبَادَةِ . حُكِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ لَمَّا غَزَا بِلَادَ الْهِنْدِ وَرَأَى ذَلِكَ الصَّنَمَ اعْجَبَهُ أَمْرُهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي أَمْرِ هَذَا الصَّنَمِ وَوُقُوفِهِ فِي الْهَوَاءِ بِلَا عِمَادٍ وَعِلَاقَةٍ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ عُلِقَ بِعِلَاقَةٍ وَأَخْفِيَتْ الْعِلَاقَةُ عَنِ النَّظَرِ . وَقَالَ بَعْضُ الْخَاضِرِينَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ الْقُبَّةَ مِنْ حَجَرِ الْمَغْنَاطِيسِ وَالصَّنَمَ مِنَ الْحَدِيدِ . وَالصَّانِعُ بَالِغٌ فِي تَدْقِيقِ صَنْعَتِهِ وَرَاعَى تَكَافُؤَ قُوَّةِ الْمَغْنَاطِيسِ مِنَ الْجَوَانِبِ . فَوَاقَهُ قَوْمٌ وَخَالَفَهُ آخَرُونَ . فَلَمَّا رَفَعَ حَجَرَيْنِ مِنْ رَأْسِ الْقُبَّةِ مَالَ الصَّنَمُ إِلَى أَحَدِ الْجَوَانِبِ . فَلَمَّ يَزَلُ يَرْفَعُ الْأَحْجَارَ وَالصَّنَمُ يَنْزِلُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ (الْقَزْوِينِي)

الْبَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَلَوْ حِشِرُ أَهْلِكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْيَائِهِمْ أَنْفُسُكَ. وَأَنْهَجِرُ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتَ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للثعالبي) أَنْشَدَ شُكْرُ الْمَلَوِيِّ:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تُهْنَانُ بِهَا وَجَائِبُ الدَّلِّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَنَّبُ
وَأَرْحَلُ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ فَأَنْتَدِلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِزْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِ تَضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبِلَدَتِهِ فَلَا غَرَابَ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلْكَحُلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَالْتَرَى يَدُوعِي الطَّرِيقِ
لَمَّا تَقَرَّبَ نَالَ الْغَيْرَ أَجْمَعُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا صَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلَ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذَلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَسِمٌ قَضَاهَا

فَذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَقِلٌ بَايَدُ لَيْسَ يَتَأَمُّ مَا ظَلَمَها
فَنَفْسُكَ فَرِيضًا إِنْ خَفَتْ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَعْنَى مَنْ بَنَاهَا
فَأَمَّا نَكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفَرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكَّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
الْتِمَاقِي . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَّةٌ لِحَظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَبْتِهَاجُ سَاعَةٍ وَانْتِشَابُ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْزُهُ إِلَّا جَمَاعَ وَلَا أَكْزُهُ الْفِرَاقَ . لِأَنِّ مَعَ الْفِرَاقِ عُمَّةٌ
يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْمِ . وَمَعَ الْاجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصَرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّجِيلِ أَلَمًا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً لَمَاتُ حَمًّا . لِأَنِّي نَلْتُ بِهِ مِنْ الْعِنَاقِ
وَأَنْسُ الْإِقْدَامَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْاجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافَحَةُ الْأَنْسَامِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَغِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشُّوقِ . وَالْأَنْسُ بِالْكَاتِبَةِ (الْمَقْدِسِي)
قَالَ أَبُو نَمَامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ النَّظَرُونِيِّ :

بَايَتْ تَصُدُّعَ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَرَبَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْأَنْسَا عَةِ لِلْعَقَامِ الْأَطْيَبُ
فَاجْتِبَاهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خُطْبُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانِهِ إِذْ تُجَذَّبُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نَقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذَمَّ السَّفَرِ

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَقَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطِيشَ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَطْلُجَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ
مِنْ الْفِرَاقِ . وَقَالَ النَّظَّامُ : لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتْ الْقُلُوبُ
وَهَدَّتِ الْجِبَالُ . وَلَجَزَأَ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
وَمَنْ يَنَاعِنِ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُغُودٌ جَمٌّ وَرُوقُ
قَالَ ابْنُ الْمُبَارِيقِ :

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَنَمَّا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَرُزِقَ
فَأَجَبْتَهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا الْحِطُّ نَفَعُ لَا الرَّجِيلُ الْمُطْلَقُ
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيسُ وَيُتَحَقُّ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَهُوَ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةِ يُتَحَقُّ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هـ و ١١٨٢ م باختصار

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التِّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةُ الْإِرْفَاقِ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَفْرِقُ فِيهَا الْمُسْلِمُ قَرَارَ .
مَشْحُونَةٌ بِعَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَعَصُّ بِقَاطِنِيهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعَاكِهَا .
أَسْوَاقُهَا نَافِثَةٌ حَفِيَّةٌ . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْعَادِ الْعَيْشِ كَفِيَّةٌ . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَنْدَةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْظَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالْبَحْرُ يَتَرَضُّ
أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاها أَعْجَبُ مَرَاسِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمَرَآكِبَ الْكِبَارَ تَدْوُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسِكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحَمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يُحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيقِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُضْطَقَّةً مَعَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبَاحِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَفَاقٌ
مُعْتَرِضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُنَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةُ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبَرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتُرُّ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَمُوهِ وَيَعْتَمُ بِالْقَلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرِّفَاقَةِ . مَشْحُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَاتِينَ مُثْمِرَةٌ بِالثِّقَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطٍ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِبَاصِ
وغيرِهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُونَ ذَوِي الْإِيمَانِ وَلِذَلِكَ مَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدْنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِهَا. وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبَلَرْمَةِ. وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضَرِيُّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَبَلَرْمَةُ هَذِهِ مَسْكَنُ مُلِكِهِمْ غَلِيَامٌ. وَهِيَ أَحْفَلُ مَدْنٍ صِفَلِيَّةٍ
وَبَعْدَهَا مَسِينَةُ وَشَأْنُ مُلِكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ. وَهُوَ
كَثِيرُ الثَّقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِمَخَاصِئِهِ وَعَلَيْهِمْ يُلَوِّحُ
رَوْقٌ مُمْلَكْتِهِ. لِأَنَّهُمْ مُتَّسِعُونَ فِي الْمَلَائِسِ الْفَاطِرَةِ وَالْمُرَاكِبِ الْفَارِهِةِ.
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْخَاشِيَةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ. وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
الْمُسَيَّدَةُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنِيقَةُ وَلَا يَسِيًّا بِمَحَاضِرَةِ مُلِكِهِ الْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ.
وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَعَرٌ أَبْيَضٌ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَلَيْسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتَرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمٌ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ. وَهُوَ يَنْشَبُهُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَاسِيهِ وَتَقْسِيمِ رَاتِبِ رَجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَهْلِيهِ
الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ. وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جَدَّاءُ الْأَطْبَاءِ
وَالْفُقَهَاءِ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخَرَصِ عَلَيْهِمْ. حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ قَبِيحًا أَجْتَازَ بِلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ. وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الْمُتَحَدِّثُ بِهِ أَنَّهُ يَهْرَأُ وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خِدْمَتِهِ الْمُخْتَصِينَ بِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقِّ حَمْدِهِ
وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَآئِكِهِ. فَكَانَ زُؤُلُنَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْنَابِهَا تِسْعَةَ
أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الدَّلَاءِ الثَّلَاثِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زُورَقٍ

مَتَوَّجِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَرْمَةِ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِمَحِثُ بَيْصَرَةٍ
رَأَى الْعَيْنَ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتْ الزُّورَقُ
أَهْنَأُ تَرْجِيَةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ الْخَطَّ فِي عَمَارٍ وَقَرَى مُتَّصِلَةً وَحُصُونٍ
وَمَعَاوِلَ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ شَرْقِيَّةً . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ
قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَتَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهُمَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَاءَ ذَاتَ
الْسُّنِّ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبَرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيٌّ بِقُوَّةٍ
شَدِيدَةٍ تَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرَبَّمَا قَذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
الْهَوَاءِ بِقُوَّةِ ذَلِكَ النَّفْسِ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْإِسْتِفْرَارِ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْمُسَوَّعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
الْعَرِمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ نَبِيحِهِ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَلَّلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَسَى مَدِينَةَ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ وَاسِعَةٌ
الْمَرَاقِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْتَابِ وَغَيْرُهَا . مُرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقُ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا قُنَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ
يُدْأَمَنْعُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِأَسْطُولِ يَفْجَاهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِفْلَاحُهَا مِنْهَا نِصْفُ اللَّيْلِ فَحِثْنَا مَدِينَةَ ثَرَمَةَ صُخُوةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسِيرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَتَقَلْنَا
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ الزُّورِ إِلَى زُورِ ثَانٍ أَكْثَرِيَّاتُهُ لِيَكُونَ الْبَحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرَمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنْ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَزُكُّ الْبَحْرَ وَتُشْرِفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِبَضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ حِمَّةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنْ اتِّخَاذِ حِمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسِعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسِعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقْنَانَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِشَهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرَسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُّ مِنَ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْخَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيْبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِفْلَاحِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِثَرَمَةِ خَمْسَةِ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَحَشِينَا طُولَ الْمَقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزَّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَبَقَا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَنَصِّفِ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمُسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَحَمَلْنَا بَعْضُ أَصْبَابِنَا وَخَلَفْنَا بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَانَتْهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةً
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَافُ النَّصَارَى يَتَقَوَّنَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤْنِسُونَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنِ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
الْحُبَّ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بَنَاءُ الْإِعْيَاءِ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبَنَانِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوُضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلِكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَيَازَانُهُ
عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِنُ
وَعَالِي مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مُرَاقِقِ السُّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بِهَا. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِبَا
مَفْرُوشَةٌ بِحُضْرٍ تَطِيفُهُ لَمْ يُدْ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً. وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
الْأَرْبَعِينَ قَنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بُئْرٌ عَذْبَةٌ. فَبِتْنَا فِي هَذَا
السَّجْدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبَقَرْتُهُ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوَ الْبَلِّ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِنَاءَ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُنَائِسَ مُعَدَّةً
لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبُصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَنَمْنَا
وَحَمَلْنَا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِبُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غُلَامٌ وَأَدَيْنَا إِلَى
الْمُسْتَخْلِفِ لَيْسَا لِنَاعِنَ مَقْصِدَنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسَرْنَا فِي
مَكِّكَ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِفَةِ

وَالْمَبَادِينِ الْمُنْتَظِمَةِ وَالْبَسَانِينَ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَّحِذَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَا رَاعَ
أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ مَجْلِسًا فِي سَاحَةِ
فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَطْلَاطُ. وَالْمَجْلِسُ قَدْ
أَخَذَ اسْتِطَالَه تِلْكَ السَّاحَةُ كُلُّهَا. فَجِئْنَا مِنْ طَوْلِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاطِرِهِ.
فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْأَطْلَاطُ وَالْمَرَاتِبُ
حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعَمَّالَةُ أُمَامُهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
الْمُسْتَحْلِفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدَيْمَيْنِ يَحْتَفَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمَنَا. فَأَظْهَرَ الْإِشْتِمَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصُرَافِنَا
بَعْدَ أَنْ أَخْفَى فِي السَّلَامِ وَالْمُعَامَلَةِ فَجِئْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نَعْلَمُهُ
بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَتَادِقِ فَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجْرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطْلَاطِ
مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى أَتَيْنَاهَا إِلَى كَنِيسَةٍ
عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْأَطْلَاطُ مَشَى الْمَلِكُ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
(ذَكَرَ بِلَرْمَةً) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنَيْنِ
عَصَارَةً وَنَضَارَةً. فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالٍ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ
أَخْضَرَ. عَيْقَةً أَيْقَةً. مُشْرِقَةً مُؤْنِقَةً. تَتَطَّلَعُ بِمَرَايِ فِتَانٍ. وَتَنْخَالِ
بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّ وَالشَّوَارِعُ. تَرُوقُ

الْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطُيَّةُ الْبَنِيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَخْتَوَاتِ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْقَاهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زُخِرَتْ فِيهَا لِلْمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَاتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِي . تَنْتَظِمُ بِلَتِّيهَا قُصُورُهُ أَنْتِظَامُ الْمُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوعِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ رُزْهَةٍ وَمَلَايِبَ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ لِبَاحَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ
 قَدْ زُخِرَتْ بِبُيَانِهَا . وَرَفَّةٍ بِالْإِقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رَهْبَانِهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صُنِعَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَالِبَانِهَا . وَلِلْمَسَامِينِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا سَكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ التَّجَارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاوُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطُيَّةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ وَضَعَ قُرْطُيَّةَ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارُ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمَشِيدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجَوِّ مُظَلَّةٌ تَحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَرْمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبَ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةٌ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرَ نَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِهِمْ عَظِيمٌ . وَقَدْ اخْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرَ نَاهَا مِنْ بُيَانِهَا مَرَأَى
 يَفْجِرُ الْوَصْفَ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْخَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ الْأَوَاحِ الرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ مَا لَمْ يَر

مِنْهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ
 الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمَذْهَبَاتِ مِنَ الرُّجَاجِ . فَتَحْتَظَفُ الْأَنْصَارُ
 بِسَاطِعِ شُعَائِهَا وَتُحَدِّثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلِنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي
 تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرَ الْجَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذِهِ الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبَلَدِ . وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُلْتَحِفَاتٌ مُتَمَقِّبَاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبَسْنَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمَذْهَبِ وَالتَّخَفُّنَ الْخَفَّ الرَّائِقَةَ
 وَاتَّقَيْنَ بِالنَّثْبِ الْمُلَوَّنَةِ . وَاتَّمَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
 لِكُنَائِسِنَ حَامِلَاتِ جَمِيعِ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحِيٍّ وَالتَّخَضُّبِ
 وَالتَّعْطْرِ . وَكَانَ مَقَامُنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِيهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ ... وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دَجْبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابَنْشٍ بِسَبَبِ مَرْكَبَيْنِ بِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْعَرْنَا
 مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ تَزَلْ تَرْبِيهَا طَيِّبًا وَكَرْمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهْنَاهَا بِقَنْبَانِيَّةٍ
 قُرْطَبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطِيبُ وَأَمْتَنُ . وَبَيْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِطَلْقَةِ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَالزَّوَايَا

وَسُكَّانُ هَذِهِ الصِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ. وَفُتْنَا مِنْهَا سَحَرٌ
يَوْمَ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقَرَّةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحِمَّةِ وَهُوَ
بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حِمَامَاتٌ. وَقَدْ قَجَّرَهَا اللَّهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
عَنَاصِرٌ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجْرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
الطَّرِيقِ. فَتَرْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرَحْنَا الْأَبْدَانُ بِالِاسْتِحْصَامِ فِيهَا.
وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِئِشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَرْنَا فِيهَا فِي دَارِ اكْتَرِنَاهَا
(مَدِينَةُ أَطْرَابِئِشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
الْمِسَاحَةِ. مُسَوَّدَةٌ بَيْضَاءُ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَايِ
وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَآكِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا يَسِيئُ
الْمُقِلُّونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُودَةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.
فَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثًا تَهْبُ الرِّيحُ
الْمُؤَافِقَةُ. فَجَجَرَاهَا فِي ذَلِكَ تَجْرَى الْخَازِ الْقَرِيبُ. وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ. لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
ضَمِيمَةٍ. وَالْبَحْرُ وَافِرٌ فَأُلْهَامُنْ سَارِ الْجِهَاتِ. فَأُلْهَامُنْ يَرُونَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ
مِنْ الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
السَّيْرِ بِهَا لِأَنَّهُمَا عَلَى تَحَرُّبٍ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالتَّنَصَّارُ
وَلِكَلَا الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكُنَائِسُ. وَبَرَكْنَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
مَا تَلَا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرَطُ السَّمَاءِ مُتَسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ فَتَهُ تَقَطَّعَ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَيَصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْكُرُومُ وَالزَّرَاعُ .
 وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهْ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ عَيْنٍ مُتَجَرَّةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
 وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتَرَكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسُوا بِحَادِثَةِ حَصْنُوا حَرَمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمَنْ أَلْعَبَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعَيُونِ الْمُتَجَرَّةِ
 مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بئرٍ
 عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا أَبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْضِيَّةُ مَاؤُهَا كَالْمَاءِ شَرِيبٍ
 لَا يُسَاعُ . وَأَقْلَيْنَا الْمَرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِفْلَاحَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَوْمِلُ رُكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ بِمَعُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ يَمْنَهُ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْتَحَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِفَارٌ
 مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلْطَمَةِ وَالْآخَرَى بِبَاسَةِ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
 بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَبْنِي الثَّلَاثَةُ سِوَى
 الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كَرَاؤُنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمَتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
 وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَا بَنَ جِيرِ)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي عَجَابِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِي: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنْ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النُّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلَ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النُّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ أَنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هَذِهِ الْمُسَدَّسَاتِ الْمُنَاسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَادِقُ مَعَ الْفَرْجَارِ وَالْأَسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اخْتَدَتْ مِنْهُ بُيُوتُهَا الْمُنَاسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرَعَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشَّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشَّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَقْفِدُ فِيهِ الْغِذَاءَ . وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِرَازِنَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِهِ فَلَا يُشْفِقُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبْقَى كَالْبَرْزِيَّةِ الْمُضْمَمَةِ الرُّأْسِ بِالْكَاعْدِ . فَبِذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الثَّنَائِيَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ الثَّجَرَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَرْقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَنْسَ بِمَذْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَسَطَّ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْتَهُ
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِلا خَارِقًا لِمَادَاتِ انْطِلَاقِ لِسَانِهِ
يَأْتَسْبِجُ قَالُ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْيَاءَ تَخَيَّرُ فِيهَا
عُقُولُ الْمُعَلَّاءِ وَتَدَهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ .

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالنَّجَارَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَقْلَةٍ مُتَفَاةٍ فِي قَلَاةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ الْبَارِحِيَّةِ . وَبَعْضُهَا
حَمَائِلِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا دَوْلَائِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
تَعَمُّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَتَشْمِسِهَا وَقَمَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِهْلَاكِهَا عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْحَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أُمْتِلَانِهِ وَأَنْحَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى خُسُوفِ الشَّمْسِ
وَحُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجَرَّةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحْوِيَّةٌ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيهَا ذِكْرُ نَاهِ تَبْصِرَةِ كُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشَّهْبِ
وَالْقُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاقِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالْثُلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَلِيَتَأَمَّلَ اسْتِحْبَابَ الثَّقِيلِ الْكَثِيفِ الْمَظْلَمِ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَتَلَاَعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَرَشُّ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةٍ . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَفِقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِجَدِّهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ الْحَاجَةِ فَيَغْفِرُ
الزُّبَابَ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يُسَوِّقُ الشَّجَبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَنْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِي الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرِيي الزَّرْعَ وَالشَّجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَمَلِهَا وَقُورًا لِيَتَكُونَ فِرَاشًا وَهَادِئًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَمَلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيْتَةٌ فَإِذَا أُثْرِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجْنَسَ الْمَعْدِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعَ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّاحِخَةِ كَأَوْنَادِهَا بِلِنْعِهَا مِنْ أَنْ تَيْمِدَ .
ثُمَّ إِلَى إِيْدَاعِ الْمَاءِ فِي أَوْسَالِهَا كَالْخِرَائَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْجُرَ
مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
زُرُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ . وَيَنْصَبُ فَاِضِلُّهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي هِيَ خَلْجَانٌ مِنَ أَنْجَرِ الْأَعْظَمِ
الْحَاطِطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِلَى خَلْقِ اللَّوْلُؤِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِبْنَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبْتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعُضْبَرِ وَأَصْنَافِ النَّفَاسِ الَّتِي يَفْذُهَا الْبَحْرُ وَتُسَخَّرُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سَهِّرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيهَا بِالرِّيَّاحِ
وَالْإِتِّخَاذِ أَلَانِهَا وَمَعْرِفَةِ التَّوَاتِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَابُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعْدِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَيَنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْهَضَّةِ وَالْأُتْحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَرُجِّهِ وَالْبَاقُوتِ وَالزَّرْجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَنَقْشِهَا
وَالْإِتِّخَاذِ الْحَلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَدَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالْقَطْرِ

وَالْكَبِيرِ وَالْقَبِيرِ وَغَيْرِهَا وَأَجْلَهَا أَلْعُجُ فَلَوْ خَلَّتْ مِنْهُ بِلْدَةٌ لَتَسَارَعَ
 الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْهَوَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالظُّمُومِ وَالْأَرَايِحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحِي خَلَّةٍ مُطَوَّقَةٍ بِعَنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا رَزَلَ الْقَطَرُ عَلَيْهَا أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيمٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَالْوَانِيَا وَطُغُومِهَا وَرَوَانِحِهَا وَاخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . قَالِمٌ تَبَتُّ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَقِفُ
 قَوْمُ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْتِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُحُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَابَ
 تَدَهُّشٍ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ الْفُلِّ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النَّمْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ لِيَرَى مَا يَتَخَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بَنَائِهَا الْإِيَّتِ وَجَمْعِهَا الْغَذَاءَ
 وَادِّخَارِهَا لَوْفَتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَضْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَابِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جِرْمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانُهَا

الطَّبِيعِي الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ (*) . زَعَمَ الْمُتَجَمُّعُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَامْلِكٍ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ . وَالْقَمَرَ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ . وَعُطَارِدَ كَالْكَاتِبِ . وَالْمَرْيَجَ كصَاحِبِ الشَّرْطَةِ . وَالْمُشْتَرِيَّ
كَالْقَاضِي . وَزُحْلَ كصَاحِبِ الْخَزَائِنِ . وَالزُّهْرَةَ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي .
وَالْأَفْلَاقَ كَالْأَقَالِمِ . وَالْبُرُوجَ كَالْبُلْدَانِ . وَالْدَّرَجَاتِ كَالْمَسَاكِرِ .
وَالدَّقَاقِيقَ كَالْحَالَ . وَالْثَوَانِي كَالْمَنَازِلِ . وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ الشَّمْسَ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِيِّ . إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ . وَلَوْ أَنَّهَا انْتَحَدَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ . وَلُطْفَ آخَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوقَفَةٍ
وَالْأَشَدَّتِ السَّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهَا . لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ . فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازِلٌ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ حَظًّا مِنْ شُعَائِهَا . وَيَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِيَتِمَّ قَائِدُهَا أَمَّا إِلَى الْجَنَةِ

(*) ذَلِكَ زَمِ الْأَقْدَمِينَ أَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَعَلَى أَنْ الشَّمْسُ فِي جَوْفِ الْفَلَكَ وَمِنْ حَوْلِهَا
تَدُورُ سَائِرُ الْأَفْلَاقِ وَأَقْرَبُهَا إِلَى الشَّمْسِ عُطَارِدُ ثُمَّ الزُّهْرَةُ ثُمَّ الْأَرْضُ ثُمَّ الْمَرْيَجُ ثُمَّ الْمُشْتَرِي ثُمَّ زُحْلُ
(*) وَهَذَا مِنْ آرَاءِ الْأَوَائِلِ . فَقَدْ ثَبَتَ الْآنَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَفْلَاقَ تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ
وَأَبْطَلُ مَا اعْتَقَدَهُ الْقَدَمَاءُ مِنْ أَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ مِنْ حَوْلِ الْأَفْلَاقِ

الْجَنُوبِيَّةَ قَمِيلٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْقَرَبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجَنَةِ الشَّمَالِيَّةِ قَمِيلٌ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ قَمِيلٌ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
جِزْمَ الْقَمَرِ كَذِي فَيجِبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نَقْطَتَيِ الرَّأْسِ أَوِ الذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لَأَنَّ قَاعِدَةَ مَحْرُوطِ الشَّمْعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
النَّظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْعُلُويَّاتِ فَأَخْضَاؤُهَا جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِقَمَرِ
النُّورِ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَنَهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبَحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَبْجَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبَحَارُ إِلَى الْمَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْقَعَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبَحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُنْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون قصير سببا لبقاء الحيوان وخروج
الذباب . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تنبت
بنمو إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس . ولذلك لا ينبت تحت
التخيل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شيء من الزروع
لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في النملوفر والأذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وتزداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذابت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالتها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإنها
ترى الحيوانات إذا طلع نور الصبح خاق الله تعالى في أبدانها قوة
تظهر فيها قراهاة وانتعاش قوة . وكما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غروبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كأوتى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الهلاك الأسفل وهو
جرم كفيف ظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهِلَالُ . ثُمَّ يَتَرَايِدُ الْإِنْحِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَرَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النِّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهَ لِلشَّمْسِ هُوَ النِّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَنَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ يَنْحَقُّ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى ثُلُثَيْ الرُّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَمُتُّ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيُرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . ذَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا أَعْتَابُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ النِّجَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاوَهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَتَتْهُ الْمَدُّ مُتَمَّهَةٌ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُتَمَّهًا . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَةِ الْبَحْرِ وَقْتُ اتِّدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَرَى لَهُ اُتْفَاحًا وَتَهَيُّجٌ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجَزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزِرَ وَدَرَجَ الْمَاءُ إِلَى التَّجْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِّ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

في الحجرة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وَهِيَ أَلْيَاضُ الَّذِي رَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ شَرْجُ السَّمَاءِ إِلَى
رَمَانَاهُذَا لَمْ يَسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارٌ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تَسَمِّيَهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنْ أُحْجَرَةٍ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَعَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
السَّمَاءِ وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشَّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنَّسَبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ تِسْعِمِائَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيٍّ. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْخِصْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الْشَّمَالِي مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الشَّابِّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعَقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبْهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّيْفَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّوَرِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَ الْخَلْقَةُ مِثْلَ الْقَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانٍ آخَرَ كَالرَّامِيِّ . . . وَإِنَّمَا
أَلْفَوْا هَذِهِ الصُّوَرِ وَتَمَوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعْرَفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ وَمَوْقِعَهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَاحِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جَمَلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وَرُودُ الْفُصُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِيجِ .
فَلَوْ أَنَّ ثِقَلَ مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَنْشِيرٍ عَظِيمٍ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَنْشِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُصُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُوفِ الشَّمْسِ أَوَّلُ بَرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَ النَّسيمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَا الزَّهَرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ .
 وَاخْضَرَّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنُبِغَتِ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَبَّتْ
 لِلنَّاطِقِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ ذَابِهَا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَيَحْتَسِدُ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُوفِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تَمَّ طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ اخْذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَسَخَنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَ الثَّمَارُ
 وَجَفَّتِ الْجُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمَتْ الْبَهَائِمُ .
 وَاشْتَدَّتْ ثَمَوَةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرَّيْفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْحَرِّ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَبَسَّ
 الْعُشْبُ وَأَذْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَانْتَسَعَ لِلنَّاسِ الْقَوْتُ
 وَالطَّيْرِ الْحَبُّ وَالْبَهَائِمِ الْعَلَفُ . وَتَكَمَّلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَأَنَّهُا عُرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِإِلَافَةٍ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْتٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السُّبُلَةِ فَيَحْتَنِدُ أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ الْإِيلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشْوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْحَرِيفُ
 زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَنِدُ بَرْدَ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيِيرَ الزَّمَانِ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَبَيَسَّتِ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتْ الدِّبَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالْثَمَرَ وَعَرِيَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَابْتَحَجَرَتِ
 الْحَشَرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطَّبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغْيِيرَ الْهَوَاءِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهُا كَهْلَةٌ قَدِ وَلَّتْ أَيَّامُ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجَدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَسُنَ الْهَوَاءُ وَتَعَرَّتِ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بَطُونُهَا وَمَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَابْتَحَجَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُفُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَنَشَأَتِ الْغَيُْومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلِمَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبِهَائِمُ وَضَعُفَتِ قُوَى الْإِبْدَانِ . وَمَنَعَ

الْبَرْدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَمَرَّ عَيْنُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَانْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْمَوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالْعَبِّ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاغُهُ صَانِعًا لَمْ تَغْلُ
 قِدْرُهُ شَايِيًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَتْ دَنَامِنَهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَنْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالثَّلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَقِيفُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْزُونَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسَاوِلِ الْجِبَالِ
 مَنَافِذُ ضَيْمَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتِ الْخِرَازِنَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهَا لَوْصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِرَازِنَاتُ فِي أَسَاوِلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطَّعَ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِئُ مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقُرَى وَمَا
فَضْلُ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَبْقُ وَيَلْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَبْرَأُ مِنْهُ الْغُيُومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ . وَيَعْطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَرَجْعُ فَاضِلِهِ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبَهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالتَّسَاكُ إِذْ لَوَلَاهَا لَمَّا أَمَكْنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمَقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَهَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارٌ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ الْأَعْظَمَ لَحَاطٍ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقٍ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ
غَائِضَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَثُهَا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةٌ مَسَاءً
وَلَا مُصْتَمَةً بَلْ كَثِيرَةٌ الْإِرْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَّلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَاقِذُ وَخُلُجَانُ . وَكُلُّهَا

مُتَمَلِّئَةً بِهَا وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ ذُهْنِيَّةٌ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
 شَيْئًا إِلَّا وَهَنَّاكَ مَعْدِنُ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِإِخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
 وَصُورِهَا وَمَزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلُهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
 وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
 وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقُدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
 إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي التَّسْطِيعِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْكُرَةِ وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاؤُهَا وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتِمَّدُ عَلَيْهِ
 جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْقُدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
 فِتْلَاغُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةً دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
 يُرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ رَعِبُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَجْزَاءً
 لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
 وَتَكُونُ مِنْ قُدَامِهَا جِبَالٌ شَلِجَةٌ مَائِيَّةٌ وَمِنْ قَوْحِهَا يَرْدُ الزَّهْرُورِ وَمِنْ
 أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتُرَانِ وَيَنْظُرَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَنْحَنَ فَيَتَكُونُ مِنْهَا
 سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَكَمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْضَمَّتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَقْصِرُ قَطْرًا . فَتَقْتَلُ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى آسْفَلٍ . فَإِنْ كَانَ صُغُودٌ ذَلِكَ الْبُخَارُ بِالْأَيْلِ
وَالْهَوَاءُ شَدِيدُ الْبَرْدِ مِنْهُ مِنَ الصُّغُودِ وَأَجْمَدُهُ أَوْلَا فَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا .
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ الْبُخَارِ فِي النِّعَمِ وَكَانَ ذَلِكَ لِحُجَالِ الْبَرْدِ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ فَتَخْتَلِطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّفْقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلدَّخَانِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِقًا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ فِي السُّيُومِ وَتَرَاكُمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرِّبْعِ وَالْحَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّهْرِ مِنْ فَوْقُ غَاطَّ الْبُخَارُ وَصَارَ مَاءً
وَانْتَهَمَتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
تَمَسُّكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَطْرَافُ الصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ آسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ فِي طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْجَرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَثُرَتْ صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
قَلَّتْ وَنَكَثَتْ فَإِنْ لَمْ تَنْجِدْ تَرْتَلِطُ وَإِنْ انْجَمَدَتْ تَرْتَلِطُ صَغِيرًا
فِي الرِّعْدِ وَالْبَرْقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُ أَجْزَاءَ أَرْضِيَّةٍ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ الدُّخَانُ
يَمَارِجُهُ الْبُخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْقَعُ

الْبُخَارُ سَمَاءً وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
وَأِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمِزُّ السَّحَابَ تَمَازُجًا عَنِيْفًا
فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لَشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
فَرُبَّمَا تَذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَبَةَ وَرُبَّمَا تَذَوِّبُ الذَّهَبَ
فِي الْحُرْقَةِ وَلَا تَضُرُّ الْحُرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَعِلُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
الْمَاءِ فَتَحْرِقُ فِيهِ حَيَوَانَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدِثَانِ مَعًا
لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرَّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
لِحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّبَاحِ
وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَوُجِّهِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَصَّارَ إِذَا ضَرَبَ الثَّوْبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
يَرَى ضَرْبَ الثَّوْبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقِلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُلُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِنَكَاسِهِ أَجْزَاءَ الْغَمَامِ .
فَإِنَّمَا إِذَا تَكَاثَرَتْ انْتَحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا زَلَّ زَلَّ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(*) قد انفتح الآن للطبيين المحدثين ان البروق والاعود مسببة عن الكهرباء وقد

اتوا على شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ التَّاسِعِ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتب الحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢ م)

٣٥٠ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ تَرَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكُمَا إِلَى طَاعَتِنَا فَأَبَى. فَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَاخْذَاهُ أَخْذًا وَيْلًا وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنْ أَتَيْتَ فَرَوْحَ وَرِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ. وَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا سَاطِنَ مِنْكَ عَلَيْكَ. فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حُصْنِهِ بِظُلْفِهِ. وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِهِ. وَالسَّلَامُ ذَكَرَ مِرَاسَلَةَ تِيمُورِ سُلْطَانِ عِرَاقِ الْعَجَمِ أبا الْفَوَاسِ شَاهِ شِجَاعِ

٣٥١ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى سَلَّطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَإِنْ أَحْبَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنِعَمْتَ. وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْحَرَابَ وَالْقَحْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِنْكُمْ كُلِّي ذَلِكَ عَابِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكرويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْأَمْهَدِيِّ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَتَيْتُ إِلَيْنَا مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِأَحْيَاكَ مِنْ

الظلم والعتس والفساد في الأرض . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَلْتَقِمُ لَنَا اللَّهَ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْتَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفِذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِمصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي أَهْلِهِمْ إِلَى نَاحِيَتِكَ لِطَلَبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجِيرَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَلِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَابُكُ وَمَقْلَبُ مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقَاءِ اللَّهِ وَبُخْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُؤَدُّنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَاتَّخَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرِ إِلَيْنَا بِالْخَبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَحْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِي عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حاب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٢ صَدَرَهُذَا الْمَكْتُوبُ الْعَلِيِّ الْأَمَامِيِّ عَنِ الْأَمْرِ الْأَلَوِيِّ الَّذِي
دَانَتْ إِطَاعَتُهُ الْكَرِيمَةَ مَمَالِكُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ . وَأَنْفَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الثَّمَرِيَّةِ
الْأَقْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَالِيَةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَقْطَارُهَا الْقَاصِيَةِ وَالْدَّانِيَةِ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ
وَالْمِلَلِ الْمَسِيحِيَّةِ الرَّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانُ
قَرَانِصَةِ لُؤَيِّ بْنِ السُّلَاطِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَّةُ السَّامِيَّةُ الْمُنَارُ
أَمَّا بِنْدُ حَمْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحَقُّهُ فَكُنَّا بِهَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَالِيَةِ مَدِينَةِ مَرَاكِشَ وَلَا زَائِدًا إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِيَا الثَّمَرِيَّةَ مِنْ عَوَائِدِ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَّا بِاللهِ الْجَمِيلَةِ الْمُنْعَمَةِ السَّجَالِ. الْمُنْتَالَةِ فِي الْبَكْرِ
وَالْأَصَالِ. اللهُ الْمُنَّةُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
خَدِيمُكُمْ أَلْرُعْيُ الْمُحْرُظُ الرِّزْبِيلِيُّ عَلَى مَرْسَى ثَغْرِ أَسْفِي الْخُرُوسِ بِاللهِ
وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضُوبَ مَعَهُ لِحَدَّائِنَا الَّذِينَ بِالثَّغْرِ بَادِرُوا بِوُضُولِهِ إِلَيْنَا
فِي الْقَوْرِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَعْرِيرِ الْحَبَةِ وَتَأْسِيسِ
الْهَدَنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرَفْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْأَهْرَانِيِّينَ
الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ
وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ اسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ. وَأَجَبْنَاكُمْ
عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
الْوَحِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيهِ الْهَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَانِيِّ. فَقَدْ أَنْ
يَأْتِيكُمْ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحَدِيثِنَا مَنْ يَتَوَقَّعُ مَقَامَهُ مِنْهُ هُوَ مُثْلُهُ وَيَتَابَعُهُ
فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيُسَلِّمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِمْنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَغْرَ أَسْفِي فَهَذَا خَدِيمُكُمْ مِنْ
الْمَرْسَى فَسَأَلَ عَنْهُ قَلِيلٌ لَهُ: قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصَرُ بَعْضُ
الْحَدَّامِ أَثَرَهُ فِي الْخَبْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمٍ
وَيَعْنِي أَنَّ خَدِيمَنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَهَاتِي قَبْلَ
وُضُولِهِ. وَالْحَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَغْرَاضِ سَيِّدِهِ لَا يَسْتَفِزُهُ شَيْءٌ
عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ إِلَّا تَرْعَاجُ قَبْلِ اسْتِيفَائِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتَوْفُوا أَنَّنَا لَمْ نَقْصِرْ فِي أَغْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّةِ لَدُنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
الْكِتَابُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الثَّوْبِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَاكُشٍ وَفَاسٍ وَكَافَّةِ الْأَقَايِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ
السَّعَادَةِ شَمْسُهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جَنْسِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلِّيِ
أَمْرِهِمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ الْمُتَمَتِّنِ الْإِخْبَارِ
يَمُوتُ جَدُّكَ الرِّيُّ لُوِيْزُ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قَوْنُصُوكُمْ بَرْطُلَمِي
دِ بَطْنِيرٍ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزُ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ خِدَانَةٌ فِي رِعْيَتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرَحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُخَلِّفُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رِعْيَتُكَ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفُنًا مِنْ سَفُنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى آيَاتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلِيمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنْ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَامِنَا لِلصَّخْرَاءِ لِتُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَغِيًّا لِلْمُهَادَنَةِ
وَالصَّلَاحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخُدَيْمِنَا الْمَذْكُورُ لَا يُبْطِئُ وَهُوَ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ إِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَتَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ .
أَتَتْهُ . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاثواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذَكَرَكَ مُلْصَقٌ بِسَائِي .
وَأَتَمَّكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي وَتَخَضُّكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخَذَهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَفْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُخَوِّدٍ عَلَى الْإِنْفَادِ لَكَ بِغَيْرِ زَمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَثُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِقَلْبٍ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ .
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِدِسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مادية

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةٍ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تَصَاحِكُ الشَّمْسُ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تَعْلَمُهَا فَهِيَ مُشْرِقَةٌ بِمَا يَهَا . حَالِيَةُ بِنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سِوَاءٍ مِنْ اسْتِمْتَاعٍ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
اُتِّجَاعُهَا وَحَثُ الْمَطِيِّ فِي ابْتِنَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْ يَقَظَ مِنْظَرُهُ حَسَنٌ وَجْهَكَ وَطِيبَ شَمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: الْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
مَحَبَّتُهَا. وَالصَّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
تَخَلُّفٍ فِي مَكَانَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسُنَتْ كَانَهَا أَعْيَادُ.
وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُ دَوَائِعَهُ
تَصَاقُبُ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ الْمَجْدُودَةُ فِيكَ بِالْإِظْهَرِ
إِلَى الْفَرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخِي لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى
الظُّلْمَ بِفُرْقَتِكَ اسْتَوْجَبَ الرَّيَّ مِنْ رُؤَيْتِكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤَيْتِكَ وَيُؤْنِسُنِي إِلَى حِينِ
لِقَائِكَ فَعَلْتُ. (فَاجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًا يَعْتَرِضُ ذُنُوبُ الْوَفَاءِ
بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونَ الْحُسْرَةَ أَعْظَمَ مِنَ الْفُرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمًا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
السَّمَاءُ بِطَارِهَا. فَحَلَّتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبَكَتِ طَيْبُ السَّمُولِ وَيُسْنَى
الْغَلِيلِ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَّقْتَ شَمْلَنَا. وَإِنْ تَجَلَّتْ إِلَيْنَا نَظَمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعْنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرِفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كاتب زبدة الى المأمون بعد قتله انها الادين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِدِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِجَلِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَأَسْتَكَانَتِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي وَتُحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَفْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأدين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ لِي شَهِدَ اللَّهُ جَمِيعُ مَا أَوْصَحَنِي فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارَ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهَا إِلَى شَتَابٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعُدْرُ وَالْبَنِي حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا تُخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر برذضاها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراس الليسي)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطَقَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْعَى وَأَحْسَنَ . وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرْتُ
بِي هِمَّةٌ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَرْتُ هِمَّةً بَلَّغْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا الْأَنْدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسْبِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفَرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاجِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَّةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
قُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتَنِي نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتَنِي مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْسَالِهِ
أهدت جارية من جوازي المأمون تفاعلة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرِّعْيَةِ فِي الْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَوَازَرَ الطَّافِيفِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخِفُّ مَوَوتَهَا وَتَهْوَنُ كَلْفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا الثَّلَاثُ

وَيَكُلُّ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْبِ . وَأَخْبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَعْرَبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَكَشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمَقَهَا بَعَيْنُ
 الْجَلَالَةِ وَتُحَظَّهَا بِمُقَلَّةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 أَهْلِ الصِّمَةِ التَّفَاحُ أَجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التَّيْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنَ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِمُحِبَّتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُّ بِطَعْمِهَا

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْعَادَةُ بِالْطَّافِ الْعَبِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتِ الصَّنَاعَةُ تَهْضُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَايِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنَّ لَا يِعْزُّ عَلَى الْهَوَانِ
 يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَرَضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِ

فصول في التهنة

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصاراني تهنته بدينه من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِنَا سَلَّمَ اللَّهُ وَسَلَامُ اللَّهِ الطَّبِيبُ
 وَأَتَمَّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَزَيْنَهُ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجِسْمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعِثْرِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لَا بِي الْهَرَجِ)

في التروية

كتاب أبي بكر إلى يزيد ابن أبي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تَعْتَفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تَغْضَبْ قَوْمَكَ
وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعِمْ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجُورَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَاقُوهُمْ إِلَّا دُبَارَ . وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَخْلًا
وَلَا تُخْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُشْمَرًا . وَلَا تَقْرَبُوا بَيْتَ إِلَّا
بَيْتَ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسَتْرُوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانٍ تَرَهَّبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْقَرَدُوا إِلَيْهِ وَأَرْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ (للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَتَقَدُّ أَمْرُكَ .
فِيهَا لَهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرْفُكْ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْفِئِكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَأَحْتَرِسْ
مِنَ النِّعَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْطَطَ
سَفْطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَعْتَرِ عَتْرَةً لَا لَمَالَهَا (أَي لَا إِقَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابى وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَعْوَى اللَّهِ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنْ تَعْوَى اللَّهُ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدِّهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا
كَمُدَّتِهِمْ . فَإِنْ أَسْتَوَيْنَا فِي الْمُعَصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَالْإِنِّصْرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَقْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَتْلُونَ مَا تَعْمَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ الْفَصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَزَقِّقْ يَا مُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُعِيبُهُمْ . وَلَا
تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّلَامُ لِمَنْ يَنْصُرُ

قُوَّتِهِمْ فَإِنَّهُمْ سَارُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِمْ
 بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُخَيُّونَ فِيهَا
 أَنْفُسَهُمْ وَيَزْمُونَ أَسْحَبَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ . وَنَحْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
 الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَقَى بَدِينَهُ . وَلَكِنْ عِنْدَكَ
 مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصِيحِهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ
 الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَكِنْ مِنْكَ عِنْدَ
 دُؤُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَاغُ وَتَبُثَّ السَّرَايَا بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذَلِكَ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَقِظُ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ .
 وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل للاحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
 إِلَيْكَ . فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَعْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
 الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْفَرَهُ . وَفِي وَلِيهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب الي العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة

٣٧٤ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
 وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فِرَارًا مِنَ الْفَقْرِ وَرَجَاءً لِنَفْسِي وَأَزْدَدْتُ بِهَا بُعْدًا مِمَّا
 فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي . أَمَرْتُ بِأَلْيَاسٍ مِنْ

أَهْلُ الْخَلْرِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنَعَ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فَنَقَمْتُمْ

فصل لايهم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّنَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَهْلُ مَوَدَّتِكَ بِالْحُلِّ النَّفِيسِ وَأُزِلُّهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضُّعْفِ وَضَرَعَتِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغْيِيرِكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحِكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَحَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى أَهْجِحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . أَتَبْدَأُتَنِي بِطُغْيٍ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ وَأَعْقِبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأُظْهِرَنِي أَوَّلَكَ فِي إِخْلَاطِكَ وَأَيَّسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَقَائِكَ . فَسَبَّحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكُنْشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْنَعَا عَلَى اخْتِلَافٍ . وَأُقَرِّقُنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخْلَاطِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَيْنِي عَلَيْكَ فِي تَوَازُرِ كُتُبِي وَاحْتِسَابِ جَوَابَاتِنَا عَنِّي . لَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقْدِمُ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحْسِنُ مَا يُقْبِحُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ أَمْتَمْتُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَاتَّقَرِّعِ اللَّطِيفِ
فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَمَطَّطْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْنِي عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَعَلَّظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدِمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
عَتَبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْخُرْجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يُحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِذْمَانِ اللَّذَاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرِّعْيَةِ

فلما قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : بأني أقرأ هذا الكتاب وأكتب اليه بما يردّه
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفَظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَ بِكَ . قَدْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ اللَّذَاتِ عَنْ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرِّعْيَةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِذًا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خاكان)

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْنِ خِلَافَةِ
بَغْيَرِ كَلَامِ الْأَمْرِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا لَيْلُ الْغَوَى
وَالرَّأْيِ لِلنَّائِكِ الْخُلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كَلَامًا بَلَّغَنِي فَقَلِيلُ . مَا كَتَبْتُ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَرَكَاةُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدَرَّهَا :

رَكُوبُكَ الْهَوَلُ مَا لَمْ تَلْقَ فُرْصَتَهُ جَهْلُ رَمَى بِكَ بِالْإِفْحَامِ تَغْرِيدُ
أَهْوَنُ بِدُنْيَا يُصِيبُ الْخَطِئُونَ بِهَا حَظُّ الْمَصِيبِينَ وَالْمُرُورُ مَرُورُ
فَأَزْرَعُ صَوَابًا وَحَذُّ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُدَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذْيِيرُ
فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْذُورُ
وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفَرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتَهُ الْمَقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
وَشَهَرْتَ بِمَحَاسِنِهَا . فَتَنَاقَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَتَدَرُونَ وَدُكَّ
وَيَتَسَكَّرُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَ حَلَّتُهُ مَوْضِعَ حَزْرِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المديني :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَانِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا
إِلَيْكَ أَقْرَأُ لَكَ . وَيَتَنَاقَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوا وَفَقُوا دُونَكَ .
فَزَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَمَلْنَا مِمَّنْ يَسْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيُقَدِّمُهُ
أَخْتِيَارَكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنْ مِمَّا يُطْمِئِنِّي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَبِزَيْدِي
بَصِيرَةٍ فِي الْإِلْمِ بِدَوَائِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا بِحَبْلِهَا وَاسْتَوْجَبْتَهَا بِمَا
فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَّوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجُنُّ إِلَى غُنْصِرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْبَتُهُ وَزَلَّ فِي مَغْرَسِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفَرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ وَتَفَتَكَ تَفَتَكَ الطَّبِيعَةَ

فصل له أيضاً

٣٨٣ السَّيْفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرُ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمُ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ:
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَدَنَّسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَالِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمُسْدُودِ بِهِ تَلْمُهِمُ الْعَجْدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَأَنْحِيَاءُ بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَأَنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مِنْ كُنْتِ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ
سَبِيلِهِ . وَلَا انْتَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَقْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التنازي

فصل لعمرو بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ الْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْحَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُعْقِبُهُ الْآجَرُ وَالْجَزَعُ يُعْقِبُهُ الْمَلْعُ . فَمَسَّكَ بِمِخْطَكٍ مِنَ الصَّبْرِ تَلَّ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُذَرِّكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لابن عبد ربه)

كتب ابن السَّمَاكِ الى هَارُونَ الرَّشِيدِ بِعِزِّهِ بُولَدُ :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكَدْرِ وَبَقِيَ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ (الكثر المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ تَوَابَ مَا رَزَيْتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَتَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ
رسائل الى علي

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالُ الْمَشَارِكِ
فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلَى اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أُنًى
مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤَلِّمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مُضْرُوفٌ الْعِنَايَةِ
إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنَّ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لَأَتِي عَليُّكَ بِعِلَّتِكَ لِقَامٍ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَآثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِعَيْتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْآثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق يوصي ابن أبي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهَبِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعَهَا مِنِّي . أَتَرَانِي أَقْبَلَ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصَرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَسَبَّهُ وَصَفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسُطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَانْكَفِ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الْتِقَاءِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فَلَانٌ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِيهِ أَمْرٌ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَبَسْطَ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَمَلَكَ مِنْ أَهْلَاهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْلِبَهَا . (وَلَهُ) مُوَصِّلٌ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخِلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لِابْنِ عَبْدِ رِيهِ)

الْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . الْحَيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَالْحَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ الدَّفَّ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُفْتَرَقَةً وَيَتَغَوَّنَ الرِّزْقَ فِي
غَايِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الْقَنْصِ وَتَحْطَفِ النَّاسِ مِنَ السُّبُلِ . وَيَتَذَلُّونَ
دَائِمًا فِي الْحَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَةِ الْقَيْظِ بَارَةً وَصَبْرَةً الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَتَّبَعُوا عِلْمَ رَاغِي غَنَمِهِمْ . وَارْتَبَدَا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمَلِ
أَثْقَالِهِمْ وَدَفْقِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَأَخْتَصَّوْا لِذَلِكَ بِسُكْنَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ .
فَعَمَرُوا الْيَمْنَ وَالْحِجَازَ وَبَجْدًا وَتِهَامَةَ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِإِخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْبِلَادِ بِالرِّمَالِ وَالْقِفَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْإِلَهَةِ بِمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَضْلِ الرِّيحِ وَزُخْرَفِ الْأَرْضِ لِرَغْبَةِ الْكَلَالِ وَالشُّبِّ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّنْقُلِ فِي تَوَاجِيهِهَا إِلَى فَضْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَتِّهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرُبَّمَا يَلْتَقِي أَهْلُ الْعُرَيْنِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعْرَاتٍ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرَغْبَةِ الزَّرْعِ مُخْضَرًّا وَأَتْتَهَابَهُ قَانِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فِيهَا . ثُمَّ يَتَخَدُّونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقَفَّارِ لِرَغْبَةِ شَجَرِهَا وَنَتَاجِ
إِبْلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَعَظَمَانِهِمْ مِنَ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخِطِّ فِي الْغَالِبِ
وَلُبْسُ الْعِمَامَةِ تِيْمَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لِقُنُومِ أُمَمِ الْبَرَبِ فِي حِمْلِ السِّلَاحِ
اِعْتِقَالِ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةِ وَهَجْرُوا تَنَكُّبَ الْنِسْبَةِ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمَطْرِزِيُّ : اُخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أُشْتُقَ مِنَ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تِهَامَةٍ وَدُعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبَرِ وَالنَّجَسِ . وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتْعَرَبِيَّةٍ وَمُسْتَعَرَبِيَّةٍ .
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَبِيَّةُ فَهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادُ وَثَمُودُ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرُومٌ
الْأُولَى . وَقَدْ لَسَمَى هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ بُنِيَ أَهْلُ هَذَا الْجَبَلِ
 الْعَرَبِيَّةُ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعَرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ أَلِيلٍ وَصَوْمٌ
 صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْقَاعِلَةِ لِلْعَرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمُسْعُودِيُّ أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَادُ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَالِكِ وَاسْتَوَلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ فَأَبَاهُمُ اللَّهُ وَهَلَكَوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقَرْيَ فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَتَخَوَّنُونَ يَوْمَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِغُّوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْعَاثِرِينَ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنَ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرُهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُطَارًا لَجْدِيسٍ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِثَمَادٍ أَنْفَرَا ضِعْمَ ذَهَبَتْ عَنَّْا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ عَنَّْا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةِ

فَلْيَسُوا مِنْ الْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ أَتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسَمِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْمُتَعَرِّبَةَ لِتَزْوُلِهِمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِيَةِ وَتَحُلُفِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ. وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَارٍ بْنِ شَلْحِ بْنِ
أَرْفَحْشَدَ بْنِ سَامَ. وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ أَلْيَمَنَ وَلَيْسَ النَّاجِ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ.
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنْحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنُّصَارَةُ. فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فِصَالُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ فِي جَوِ الْقَفْرِ
أَفْحَادُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ. وَتَمَيَّ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ. وَزَامَهُوهُمْ بَيْنَاكِبِهِمْ وَاسْتَجَدُّوا حُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عَزِهِمْ. وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (الابن خلدون)

ملك يرب وشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَرْبُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاطِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَاسْمُهُ يَمَّا وَبِهِ
سُمِّيَتْ أَلْيَمَنَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ: أَيْبَتِ اللَّعْنُ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا.
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ:
تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ السَّنَجِ يَرْبُ أَيْبَا فَصِرْتُمْ مُعَرِّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامُ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَرْبِ ابْنِهِ يُشْجِبُ . وَكَانَ وَاهِي الْأَزْمَةِ وَاسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّسْرِ وَكَثُرَ
 الْغَزْوُ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنُّوَيْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سَدَّ مَأْرِبَ وَتَفَرَّعَ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ قَبْنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْأَقَارِ فَحَمَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعَيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَاذِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِبْنِهِ قَاتَمَةُ مُلُوكُ حِمْيَرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنْ أَلْيَمِينَ
 وَالشَّمَالِ . وَوَدَّوْلَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفَ وَأَبْذَخَ وَأَعْلَى يَدَا
 وَأَظْهَرَ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْضَفَهُمُ السَّلِيلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتِهِمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ . وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَائِمَةُ مُلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَعَاوِيَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْطَظَّهُمُ الْحَضَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَقَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ الْآلَسَرُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ طُمُوسٍ مِنَ الْفَكْرِ وَأَقْفَاءِ
 التَّضَائِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأَصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدُونَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الْوُلْدِ كَثِيرٌ وَأَشْهُرُهُمْ
 حِمْيَرٌ وَعَمْرُوٌّ كَهْلَانٌ فَيُعْزَى التَّبَائِمَةُ إِلَى حِمْيَرَ وَالْمُنَادِرَةُ إِلَى عَمْرُوٍّ وَيَتِمِّي

النَّسَائِيَّةُ إِلَى كَهْلَانٍ . وَسُورِدُ بِالْخَيْصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشداد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعَةٌ لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا لِيَسْمُونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يُتَّبَعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّيْخُ وَحَضَرُ مَوْتٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيُسَمَّى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ يُتَّبَعُ . وَأَمَّا خَيْرٌ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِجِ (٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثُمُودَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَقَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ خَيْرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِّبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأْسَ النَّاسِ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْفَنَائِمِ (لحمة الاصفهاني)

ملك افريقس وذو الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَيْمَهُهُ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيتَ وَسَاقَ الْبَرِّ إِلَى الْيَمَنِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رِطَابَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَابِرَتَهُمْ . فَسَمَوْا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ. وَلَمَّا يَغْبَأُ بَوْصَاةَ أَبِيهِ أَبْرَهَةَ وَكَانَ أَشَدَّهُ عِنْدَ وَقَاتِهِ:

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِئْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَاحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَعْنَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بَنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُخَصَّدُ
وَلَمَّا دُعِرَتْ خَيْرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَّتْ طَاعَتُهُ وَقَلَّتِ الْمُلُوكُ شَرَحِيلَ.
فَجَرَى بَيْنَ شَرَحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.
وَأَسْتَقَلَّ شَرَحِيلُ بِالْمُلُوكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهَذَاهَدُ. (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمس مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَاهَدِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ
عَلَيْهِ بِنَفِيسِ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ أَلَمِينَ عِشْرِينَ سَنَةً. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمُلْكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ. لِأَنَّهُ قَلَدَ أَغْنَاكَ رَعِيَّتُهُ أَطَوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْإِنِّ
وَسَادَ غَازِيَا إِلَى الْمَغْرِبِ قَبْلَ عَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ تَجَارًا لِكَثْرَةِ
الرَّمْلِ وَغَبَرِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَجْعُوا. فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نُصِبَ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ: هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ. فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيُعْطَبَ.
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمْسُ مَرْعَشُ سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَاشَى كَانِ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ. وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَابَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَنَارِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدِهِمْ مَنَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّفْدِ وَرَاءَ
جَبْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ سَمِرَ كَنْدَ أَيُّ يَمُرُّ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبْتَهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ . وَتَخَصَّصَ مِنْ الْإِيْمَنِ
غَارِيَا وَمَرْ بِالْحَيْرَةِ فَخَيَّرَ عَسْكَرَهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِيْمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
وَهَادَتْهُ . وَأَخَذَ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ بِأَغْرَاءَ بَعْضِ أَحْبَابِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَأَ الْمَلِكُ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَاسِ سَامِي الْأَهْمَةِ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْإِيْمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلْلِ يَمَكِّنُهُ الْفُرْصَةَ لِإِقْدَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ تَبَعٌ وَبَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَجَّةٍ . فَتَوَغَّلُوا فِي فُلُوتِ سَحَابَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَعَمَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ اتَّقَلَّ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَمَلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيِّقًا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى تَحْلِسِهِ رَمَى بِهَا مُزَفَّتَةً . لِئَلَّا يَجِدَ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَبِيلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ
فَتَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسدودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَلَمْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَيْرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَأَتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ابْنُ تَبَانٍ
أَسَدٌ وَأَنْتَمُهُ زُرْعَةٌ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَاعَةِ تَسَمَّى
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْإِيْنِ . فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاسِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْخَوَارِجِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَطَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابَ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنْ
النَّاسِ جَهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا قَارِنَيْنِ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطَّابَا لَادَ الْعَرَبِ . فَأَخْطَقَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاغَوْهَا بَنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمِئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَبْدُونَ
نَحْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةٌ وَيَعْلِفُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَكْفُرْنَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ ابْتَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَأَبْتَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ أَسْتَسْرِجَ لَهُ أَلَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكْتُهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا نِدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا قَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَزَكَّيْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَمَعَتِ الْخَلَّةَ مِنْ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى قَفَّ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَالْهُمُزَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَّاسٍ بِجُنُودِهِ وَاسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ وَعَرَّضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَمَاحًا . فَحَدَّدَ لَهُمُ الْأَحَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ اُتْمَعَتْهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ تَقْذِفَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي إِيَّاهُ فَيَقْذِفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتْ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّتْ . فَقَالَ لَهَا
الْعَلَامُ : يَا أُمَامَةُ لَا تَتَأَفَّقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَّاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالُ لَهُ دَوْسٌ ذُو
ثُمَّلَانِ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرٌ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ بِأَمْرِهِ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَهُ السُّفْنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهْدَ
إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبُحْرَ وَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فَمِنَ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
وَبَقُومِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبُحْرِ وَخَاضَ صَخْرَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
عَمْرَةٍ فَأَقْبَحَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَانْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَاعَةِ
(٥٢٩ ب م) . وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رَجَالَاتِ
خَيْرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطُ أَرْهَةَ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْعُرْبِ فَأَنْحَازَ
إِلَى أَرْيَاطُ عُظَمَاءَ الْحَبَشَةِ وَعَطَّارِيَهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَرْهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُتِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَرْهَةَ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَائِهِ
وَسَقَطَ عَنِ جَوَادِهِ . فَأُلُوَ أَحْيَيْدُ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةَ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَرْهَةَ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيمًا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي التَّصَرُّاتِ .
فَبَنَى يَصْنَاءً إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةَ الْعَمَلِ وَسَمَّاها

الْقُلَيْسَ (*) فَأَنْشَرَ خَبْرَ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَأَمَّا هَلَكُ أُمِّهِ
(٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ أَبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَأَسْتَحْلَ مُلْكُهُ
وَأَذَلَ خَيْرَ وَقْبَائِلِ الْإِنِّ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَلَمَّا كَانَ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عُسْفُهُ (لِلْأَزْرَقِ)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَأَمَّا طَالُ بَلَاءِ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِنِّ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ
الْحِمَيْرِيِّ مِنَ الْأَذْدَاءِ بَقِيَّةَ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبَ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارَسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَأَسْتَهْلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْقَدَمَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لَلْمُتَلِّ . أَبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(٥) وَكَانَ الْقُلَيْسُ مَرَبَّأً مُتَوَسِّطٍ وَجَعَلَ طَوْلُهُ فِي السَّمَاءِ سِتِينَ ذِرَاعًا وَحَوْلَهُ
سُورٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلَيْسِ مِائَتَانِ ذِرَاعٌ مُطِيفٌ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَجَعَلَ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ حِجَابَةٌ
تَسْمِيهَا أَهْلُ الْيَمَنِ الْجُرُوبَ مَنَقُوشَةٌ مَطَابِقَةٌ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ اطْبَاقِهَا إِلَّا بِرَةِ مَطْبَقَةٍ بِهِ . وَكَانَ
لَهُ بَابٌ مِنْ نَحَاسٍ يَفْضِي إِلَى بَيْتٍ فِي جُوفِهِ طَوْلُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا مَطْلَى الصَّمَلِ
بِالسَّاجِ الْمَنَقُوشِ وَمَسَامِيرُ الذَّهَبِ وَالْقُضَى وَعُقُودُهُ مُضْرُوبَةٌ بِالْفَيْسِفَاءِ مُشَجَّرَةٌ بَيْنَ أَضْمَاقِهَا
كُورَاكِبُ الذَّهَبِ ظَاهِرَةٌ . ثُمَّ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى قَبَةِ جُدْرَانِهَا بِالْفَيْسِفَاءِ وَفِيهَا صُلْبٌ مَنَقُوشٌ
بِالذَّهَبِ وَالْقُضَى وَفِيهَا رُخَامَةٌ مَا يَلِي مَطْلَعَ الشَّمْسِ مِنَ الْبَلْقَى مَرِيعةٌ تَغْشِي عَيْنَ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْ
بَطْنِ الْقَبَةِ . تَوْدِي ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِلَى دَاخِلِ الْقَبَةِ . وَكَانَ تَحْتَ الرُّخَامَةِ مَنَبْرٌ مِنْ خَشَبِ
الْبَلَحِ وَهُوَ الْإِبْرَاقُ مَفْصَلٌ بِالْعَاجِ وَدَرَجُ الْمَنَبْرِ مِنْ خَشَبِ السَّاجِ مَلْبَسَةٌ ذَهَبًا وَفُضَّةً (لِابْنِ إِسْحَاقَ)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا أُرْدَدَتْهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَاحْصُوا
يُثَامِنَانِ وَقَدْ عَلِمَ أَفْضَالُهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ بَيْتًا وَأكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
وَهَزْرُ الدِّلِيِّ . فَنَوَاقِقُوا لِلْعَرَبِ وَأَمْرَ وَهَزْرُ ابْنِهِ أَنْ يُتَاوَسَهُمُ الْقِتَالُ
فَقَتَلُوهُ وَأَخْفَضَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
نَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَأْقُوتُهُ حُمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَأْقُوتَةَ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَتَغَلَّلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَكَسَّرَ عَنْ دَائِيهِ وَدَارَوَاهُ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
وَأَنهَزَمَ الْجَبَشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مَلِكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتْ مِنْهُمْ
أَرْبَعَةٌ فِي ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً (٦٠١) . وَأَنصَرَفَ وَهَزْرُ إِلَى كِسْرَى
بَعْدَ أَنْ حَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ سَمَّيَهُمْ إِلَيْهِ عَلَى
فَرِيضَةٍ يُودِيهَا كُلُّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَرْزَلَهُ بِصَنَمَاءُ .
وَأَنفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَزَلَ قَصْرُ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
يُقَالُ إِنَّ الصَّخَالَ بَنَاهُ عَلَى أَسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَمَلَ يَعْتَسِفُ الْجَبَشَةُ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَأَتَّخَذَ مِنْهُمْ طُوبَايِرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرَابِ .
فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَتَفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
بِالْحَرَابِ فَتَلَّوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَاتَّخَذَتْ عَمَلُهُ إِلَى أَنْ
كَانَ آخِرُهُمْ بِأَذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لَا بَنَ خَلْدُونَ)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تَمَلَّكَ مَلِكُ بَنِي فُهْمٍ وَجَنِيَّةُ الْبَرَشِ

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ الْعَرَبِ بِالْعِرَاقِ فِي الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا
تَفَاصِيلُهَا وَشَرَحَ حَالُهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَّثَ سَيْلُ الْعَرِمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ
الْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرِبَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ . فَكَانَتْ تَتَوَخَّ وَفُضَاعَةُ
وَهَا حَيَّانٌ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ يَمْنُ تَمَزَّقَ إِلَى الْعِرَاقِ .
فَقَالَ مَلِكُ بَنِي فُهْمٍ الْأَزْدِيُّ لِمَالِكِ الْفُضَاعِيِّ : نَقِمْ بِالْبَجْرَيْنِ
وَتَخَالَفَ عَلَى مَنْ نَوَانَا فَتَخَالَفُوا . فَسَمُوا تَتَوَخَّ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ
الطَّوَارِفِ فَظَرُّوا إِلَى الْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ
فَخَرَجُوا عَنْ الْبَجْرَيْنِ وَسَارَتْ الْأَزْدُ إِلَى الْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بَنِي فُهْمٍ
الْأَزْدِيِّ . وَسَارَتْ فُضَاعَةُ إِلَى الشَّامِ مَعَ مَالِكِ الْفُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَتَوَخَّ فِي الْعِرَاقِ مَلِكُ بَنِي فُهْمٍ (١٩٥ للمسيح)
وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِالْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكِ رَمِيَةً بِالْأَلِيلِ
وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيَهُ قَالَ :

جَزَانِي لَا جَزَاءَ لِلَّهِ خَيْرًا سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرٌّ أَجَزَانِي
أَعْلَمُهُ الرَّمَاةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ فَاطَظَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَّكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكِ
جَدِيَّةُ الْأَبْرَشِ . (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ الرَّأْيِ بَعِيدَ الْمَنَازِلِ شَدِيدَ
الْكَيْفِيَّةِ ظَاهِرَ الْحَزْمِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِالْجُيُوشِ وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى

قَبَائِلُ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ رِصٌّ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعَتْ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّيَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَارَ الْفَرَى الْمَجَاوِرَةَ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَنْجِي
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ أَلِيَامَةٍ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْحَى جَذِيمَةً فِي الْأَنْبَارِ مَنَزِلُهُ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكُ سَابُورَ بْنِ أَشَكْ . وَكَانَ جَذِيمَةُ
مَلِكًا مَعْدِيًّا وَبَعْضُ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانَ
ابْنَ أَدْنِيَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلِكَةَ الطَّوَافِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزَّبَاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ ثَمُوسَتَيْنِ سَنَةً بِالْعَرَبِ (الحرمة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ قَوَّيْتُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحِيرَةَ مَنَزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
يَعُدُّهُ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّارَ مِنَ الزَّبَاءِ بِجَنَائِلِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَتِ
الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَغْفَلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِهِ . فَعَدَّ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرٍ وَزِيرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئَةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَتَحَقَّقَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِمُدَاخَلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَصْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا قُلْتُ لِي أَنَّكَ لَمْ يَنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَكَرَّمَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأُنْكَفَأَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مُدَّةَ عُمُرِهِ مُتَقَرِّدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَتُجَبَّى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفْدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرُهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
 لِلْمُلُوكِ الطَّوَافِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَهَرَمَ مِنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاقِبَاتٌ حَتَّى حَلَمَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ بِمَا يَؤُوهُمْ وَمِمَّا لَا يَؤُوهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحِ مُجَاوَرَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّخَارِ . فَخَرَجَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَالِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَلَحَقُوا بِالشَّامِ وَأَنْصَبُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
 مِنَ الْعَرَبِ يُحَدِّثُونَ أَحَدَانَا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَحْقِيقُ مَعِيشَتِهِمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحُ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِظَالَّ وَيَبُوتُ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غَرْبِي الْقُرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا قَوْعَهَا . وَالْأَثْلُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
 الْحِيرَةِ فَأَبْتَنُوا بِهَا . وَالْأَثْلُ الثَّالِثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةَ أَيَّامَ
 مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِيَ بِاتِّخَاذِهِ مَنَزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتْ
 الْكُوفَةُ وَتَرَاهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ (لِلنُّوْرِيِّ وَحِزَّةُ الْأَصْفَهَانِي)

ملك امرئ القيس البدو والحرقى والنعمان الاعور السامح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِيَ أَمْرُو الْقَيْسِ الْبَدُو وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالَ الْفَرَسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ تَحْسَرَ سِنِينَ. ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدَ بَنِي
فَارَانَ فَتَلَّهُ. (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثَّانِي). (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيَعْرِفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالْمُذِيرِ وَالْحَرَقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسُودُ
أَبْنُ يَعْفَرٍ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ آلِ حَرَقٍ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعُورُ السَّاحِجُ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسِّدِيرِ (*) وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامٍ يَزْدَجِرُ دَقْدَقَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بَهْرَامُ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِنَاءِ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ. وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ.
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْقَنَهُ الْجَلَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْقُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيَّةٍ. وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَالَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ مَرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَائِبِ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ. وَكَانَ مَلِكَ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَاءِ الْفَرَسِ وَدَوَسَرَ وَأَهْلَاءَ تُوخَ. فَكَانَ يَفْزُو بِهِمَا مِنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ. وَكَانَ صَارَ مَا حَازَ مَا ضَاطَّطًا لِلْمَلِكَةِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَوَلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحَيْرَةِ. وَالْحَيْرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْقُرَاتِ. وَلَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَصَرَّ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسْرُوحَ وَتَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرو القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ تَوَلَّى الْأَمْرَ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْا عَلَيْهِمْ مَخْصَا مِنْ وَلَدِ أَزْدٍ شِيرٍ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشْئِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوءِهِ مِنْ آدَابِ الْعَجَمِ . وَاسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
فَجَهَّزَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيَطْلُبَ مُلْكَهُ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَاسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُرُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَاجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِاللَّهُوِ إِلَى مَوْتِهِ (٤٦٢ ب م) .
وَمَلَكَ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنُ زَيْدٍ النَّصْرَانِيَّ
فَنَصَرَهُ * وَتَرَهَّدَا (٤٦٩) . وَمَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي اتَّصَرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسَرَّ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلَكَ
أَخُوهُ الْمُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نَعْمَانُ الثَّالثُ . ثُمَّ
اسْتَخْلَفَ أَبُو يَمْرُوتَ عُلْقَمَةَ الدُّمَيْلِيَّ (٥٠٣) وَدُمَيْلُ بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
مَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّالثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بِكُرَّاءَ يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بِكُرَّاءَ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْحِيرَةِ وَتَعُضُّهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَابِي الْعَذِيبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَحْبُ بِنَا النَّاقَةَ نَحْوَ الْعَذِيبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّالثُ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الثَّالثُ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

الْفَرَّيْنِ لِضَفِيرَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمَةُ مَاءِ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَائِلِيُّ عَامِرًا الْأَزْدِيَّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرِ أَيَّ
عَطَاءٍ وَجُودًا قَلَبَ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةً بَنَ كَثُومٍ
قَتَلَهُ لِحَسِينِ سَنَةَ مِنْ مُلْكِهِ (٥٦٢ ب م) . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْمُحْرَقِ وَهِنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا تَيْمِيمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً (٥٧٨) . ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ الرَّابِعُ
سِتِّينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشِرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِنًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يُشْكُرَ وَسَلَبَهُ (٥٨٢) . ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةَ وَاحِدَةً
ثُمَّ التُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الَّذِي بَاتِيَ الَّذِي بَنَى الْفَرَّيْنِ وَتَوَصَّرَ (لِلنُّوْرِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ)

خبر تضرع النعمان

٤٠٩ كَانَ التُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمُلَقَّبُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغَضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهِرُ الْحِيرَةَ ثُمَّ يُجْعَلَانِ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْحَفْرَتَيْنِ . فَعَمِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأُخْبِرَ بِهَلَاكِيهِمَا . فَقَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَمَهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرَ بَيْنِ يَوْتِ آلِ مُحْرَقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَرُوقُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيٍّ مِنْ لَحْيَالَةٍ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَيْلٌ أَكْرَمَ اللَّهِ رَجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْحَزِيزُ عَمْرُو وَشَرَّاحِيلُ الْحَمَالَةِ
 رَفِيَاكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَيْبَ شَرِيكَ وَقَالَ: أَبَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمْرٌ لِلطَّاءِي بِمِخْمَسٍ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جُعِلَ الْأَجَلُ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءَ حِنْظَلَةٍ.
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ بَكَ صَدَرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنْ غَدًا لِنَاطِرِهِ قَرِيبٌ.
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَثَلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَصَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرِي نَدِيمِيهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَبِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ الطَّاءِي. فَلَمَّا
 كَادَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيْفِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حِنْظَلَةُ الطَّاءِي قَدْ تَكَفَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَقْلَتَ مِنَ الْهَتْلِ. قَالَ: الْوَفَاءُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْعَذْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ الْأُسْتَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِي.

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَمَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي صَمِتَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ الْأَمُّ الثَّلَاثَةِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَصَرَّ
مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلُ الْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكَتَائِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَرْوَيْزَ (٤٦٠ ب م) وَأَنَقَطَعَ الْمُلْكُ
عَنْ لَحْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الْإِغَانِي)

٣ الفساسة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْتَةَ عُمَالُ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَضْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكَاكِيرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحَسَّتْ
يَمَارِبَ انْتِمَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَشَاءَ قَوْمٌ فَنَزَلُوا
عَلَى مَا يُقَالُ لَهُ غَسَّانَ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَمَسُوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَزَلَّهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّسَائِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا زَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سُلَيْجٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّسَائِنَةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي بَلَى جَبَائِثَهَا سَيْطًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَاهُمْ سَيْطٌ وَقَصَدَ ثَعْلَبَةُ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتَهْلِكَنَّ لِي الْإِثَاوَةُ
أَوْ لَا أَخْذَنَّ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جَذَعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جَذَعٌ فَايْتَمَا .
فَأَتَاهُ سَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عَوْضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِثَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذهُ . فتناول سيّطُ جفن السيفِ واستلَّ جذعُ نصله
وضربه به قاتلاً : خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلاً . فوقت
الحرب بين سليم وعسان فأخرجت عسان سليماً من الشام وصاروا
ملوكاً . واستقر ملك العسائنة ٤٠ سنة بئيف (*) (لحزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) م بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بنير ملك تأكل القوي الضيف حتى ملك
حجر وكان تبع حين أقبل ساراً الى العراق استصله عليهم . فسدّ أمورهم وسلبهم احسن
سياسة وانتزع من النعمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى
ولاه قباز ملك الجهم على العراق مدة ثم طرده اتوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب
الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
بنين ولأمهم حل قبائل كندة . وكان حجر أكبرهم متولياً على بني اسد فتتوا امره وقتلوه فقام
امروء القيس واستنجد بيكر وتلب على بني اسد فاجتدوه وهرت بنو اسد منهم وتبهم فلم يظفر
بهم . ثم تماذلت عنه بكر وتطلب وتطلب المنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امروء القيس
خوفاً من المنذر وخاف امروء القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب ويتنقل من
أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فآكرمه وأزله . وأقام امروء القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امروء القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدرعه
عند السموءل بن عادياء المذكور . ومر على حماة وشيزر وقال في سبيرة قصيدته المشهورة
بكي صاحبي لما رأى الدرب دوني وألحقني إنا لأحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عنك إنما نحاوُلُ مُلكاً أو نوتُ فنعُزدا
فات امروء القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عيب . ولما علم بموته هناك قال :
أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مُقيمٌ ما أقام عيب
ولما مات امروء القيس سار الحارث بن أبي شمر التميمي الى السموءل وطالبه بأدراع
امروء القيس وما له عنده وكانت الأدراع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدراع وإما قُلتُ
لبنك . فقال السموءل : لست أخفِرُ دُمعي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ تَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سِدَانَةَ
الْكُحَيْمَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعِمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هَذَاكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَنُ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتِ . وَأَصَابَ الْيَمَنَ قَحْطٌ قَهَرُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَخْطَلُوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعِمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَنَكَّمُ بِلِقْنِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَوَفَّى لِمِائَةِ
وِثْلَيْنِ سَنَةٍ مِنْ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَذَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ بِعَظَمِ مَكَّةَ وَبِاسْتِحْقَالِ حَتَّى
وُلُوا أَلَيْتَ الْحَرَامِ . وَكَانُوا وَلَاتَهُ وَحُجَابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَلَّتْ وَلَايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلَوْا مِنَ الْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَاسْتَحْلَفُوا بِجُرْمَةٍ
أَلَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سِدُّ مَأْرِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطَؤُنَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحِبُّ أَنْ تَزِلُّوا فَتَضَيُّعُوا عَلَيْنَا مَرَاتِنَا وَمَوَارِدَنَا فَارْحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فغضب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموذلي .

وفيت بأدراع الكندي إلي إذا ما خان أقوامٌ وفيت

بني لي عاديا حصنا حصينا وبدا كلما شئت استقيت

رفيما تترق العقبان عنه إذا ما فاني ضم أبيت

وأوصى عاديا قديما بألا تخدم يا سموذلي ما نبئت

(لا ي الفداء)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجِوَارِكُمْ . فَأَقَاتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْتَهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفَلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ يُضْهِدُ دَمَهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْإِيْنِ
وَأَنْخَزَعَتْ خُرَاعَةُ بَيْكَةِ قَوْلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْبَعَةُ
ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَيْكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْإِبِلِ وَلَحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَوْبَابٍ مِنْ بُرُودِ الْإِيْنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيْرَ الْحَنِيفَةِ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سَدَائِفِ الْإِيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصَيُّ الْقُرَشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَيِّ غَبْشَانَ الْخُرَاعِيِّ
قَبَايِمًا مِنْ قُصَيٍّ يَزِقُ خَيْرَ قَبِيلٍ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَيِّ غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصَيُّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَاجْتَمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكِمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ هـ م) . فَصَادَ
لِقُصَيٍّ لَوَاهُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْإِيْتِ وَتَمَيَّنَتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَاتَّخَذُوا دَارَ الدُّوَقِ إِزَاءَ

الْكُفَّةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُوَدُّونَهُ . ثُمَّ
هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِ بَنُوهِ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للارزقي)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٤١٢ كانت العرب في أول أمرها على دين ابراهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحي بنهم
يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشٍ عندها فكان الرجل اذا قَدِمَ من سفرٍ بدأ به
على أهله بعد طوافه بالبيت وخلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خَزَرِ المقيق على صورة انسان
وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْشٌ فجمعت له بدأ من ذهب . وكانت له خزنة
للقرآن . وكانت له سبعة قِدَاحٍ يضربون بها اذا سَمَّتهم الحاجة ويقولون :

إِنَّا اخْتَلَفْنَا فَبِ السَّارِحَا ان لم تَقْلُ قُرَ القِدَا حَا

وكان بالكعبة على عينيها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
تبرك الناس به وقرء دونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نُصِبَ صنمٌ يُعرف بالْحَلَاةِ فكانوا
يلبسوها القلائد ويجدون اليها الشخير والحِنطة . ويصبون عليها اللبن ويدبجون لها ويهتفون
عليها ببيض النعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المشري
وقيل ان اصل اسمها ذوشراد اي ساطع النور . والزهرة وزحل والمرج وغيرها من الثوابت .
ومن معبوداتهم أيضاً المَنَاة واللات وعزى . وكانت المَنَاة على ساحل البحر ما يلي قُذَيْد .
وكانت حَمْرَةً تُراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الحلب . وكانت اللات ايضاً
حَمْرَةً صنماً للشمس اذا مر عليها الحاج يلتوضا بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
ومنه اسم الحلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قُرَيْشٌ وبنو كِنَانة . ويطوفون بها بعد
طوافهم بالكعبة ويمكنون عندها يوماً . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
واحدة منهن شيطان يكلمهم وترى للسدنة وهم الحجبة وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان
بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا لها عبوداً دهرًا طويلاً ثم أمأجهم بجاء فاكلوه . فقبل في ذلك :

أكلت حنيفة رجلاً زمن التَّحْمَمِ والجماع

لم يحذروا من رجم سوء العقوبة والتباعد

ومن اديانهم المجوسية والصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية اصنام الذهب للشمس
 وأصنام النضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا ان قوَى الكوكب
 تفيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتقم وتوحي للناس اعني الأصنام . وتعلم
 الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا افردت تلك
 الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك
 الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حبر وكنانة وبني الحارث
 ابن كعب وكندة . وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : ان قبائل شتى من
 بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم البجاد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
 تنصروا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة ونضاعة وجرا
 وتوخ وتغلب وبعض بني . وكانت قریش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة ثمثال مريم مزوّفاً
 وابنها عيسى في حجرها قاعدًا مزوّفاً . وذلك في الصود الذي يلي باب الكعبة ولم تُطمس
 صورتهما بل بقيتا الى عهد ابن زُبَيْر فهلكتا في الحريق (تلخوري والازرق)

٢ علوم العرب وآاجم

٢١٣ فأمّا علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار
 وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في النطق والدلالة
 في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومضارجا وعلم بانواء الكواكب
 وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في
 اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . وأما علم الفلسفة فلم يحفهم الله شيئاً منه ولا هيأ
 طبائهم العناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمتها والمنظوم من كلامها
 والمقيد لأبيائها والشاهد على حكامها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يُجَنِّثون الاً بفلام
 يولد او شاعر يبيع فيهم او فرس شتج . قال الصفي : بل ما كان للعرب ما تفخر به الاً السيف
 والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ ويقامون ويتشادون
 ويتفخرون ويتعاطلون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر ونفضيلها له أن عمدت الى سبع
 قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القبايطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال
 لها معالقات لانها عُلقت في أستار الكعبة . أما الكتابة فحكّموا أن ثلاثة نفر من طيهم كانوا على دين
 عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فقطعهُ قوم من الأنبار وجاء
 الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القرايطس عديم عمدوا الى
 كتف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والاني من كان
 لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لاي الفرج والجوهري)

ثم يحوله تعالى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه

- ٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره
 ٦٤ اشعار جارية بحرى المثل
الباب السادس في امثال عن السنة
 ٦٨ الحيوانات
 ٦٨ البازي والديك برغوث وبموضة
 ٦٩ اللبوة والغزال والقرد
 ٧٢ ساءة
 ٧٦ قرد وغليم
 ٧٩ الضبة والرجل اسد وذئب وغراب
 ٨٣ الجدي السالم والذئب النادم
 ٨٥ قارة وهر
 ٩١ العمد الفير المتروي
 ٩٢ مالك الخزين والسكة
 ٩٤ الديك والثعلب
 ٩٧ الحمل والحمل
 ٩٩ البستاني والاربعة العاشر يمتد
الباب السابع في الفضائل والذائل
 ١٠٣ الصبر
 ١٠٥ القناعة
 ١٠٧ العدل
 ١٠٩ الكرم
 ١١٠ الوفاء الراي والمشورة
 ١١٣ الحسد
 ١١٤ حفظ اللسان وكتمان السر
 ١١٧ النجاسة
 ١١٩ الصدق والكذب

وجه

- الباب الاول في التدئين**
 ٣ في كمالاته تعالى
 ٣ الدماء لله
 ٤ منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
 ٧ محبة الله والثقة به
 ٩ الاستغفار الى الله
 ١٢ العالم العقلي
الباب الثاني في الزهد
 ١٦ في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس
 ١٧ عدي بن زيد والنعمان
 ١٨ ذلة الدنيا وزوالها
 ١٩ الراهب الجرجاني والشيخ عمر الصبي
 ٢٩ حفظ الخواص
 ٣٠ الدهر وحوادثه
 ٣٢ ذكر الموت
 ٣٥ التوبة الى الله
الباب الثالث في المراثي
 ٣٨
الباب الرابع في الحكم
 ٤٦ نوادر بزرجمهر حكيم الفرس
 ٥٠ حكم شافق الصدي
 ٥٢ اشعار حكيم
الباب الخامس في الامثال
 ٦٢ فصل من نوادر كلام العرب
 ٦٤ نبذ من كلام الرمشري والبقي

وجه	وجه
١٨٢	المزاح
١٨٧	الصدقة وخلوص المودة
١٩٦	المطل في الوعد التواضع والكبر
١٩٨	الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٩	في العقل وماهية وشرفه
٢٠٠	في العلم وشرفه
٢٠٣	وصف الكتاب
٢٠٨	في البيان والبلاغة والفصاحة
٢٠٩	في الشعر
٢١١	في الأدب
٢١٢	الآداب الظاهرة
٢١٦	الباب التاسع في اللطائف
٢١٨	الحذاد والامير
٢١٩	الجماع والفنية
٢٢٠	ابو العلاء وكتاب الفصوص
٢٢٥	فتى فصيح علي بن المهمل والمتوكل
٢٢٨	درواس بن حبيب وهشام
٢٢٩	الشاعر المروى
٢٣٠	المنصور وابن هيرة
٢٣١	ابو عباد الجعري عند المتوكل
٢٣٣	الركاض والرشد
٢٣٥	الأعمى والأعور
٢٣٧	اولاد تزار عند الافعى
٢٣٨	الباب العاشر في المدح
٢٣٩	الباب الحادي عشر في الفخر والهجور
٢٤٠	ابن كندة عند كسرى
٢٤١	ابن مقلة والواشي
٢٤٢	الباب الثاني عشر في الالغاز
٢٤٣	الباب الثالث عشر في الوصف
٢٤٤	الباب الرابع عشر في الحكايات
٢٤٥	ابن الزبير ومعاوية
٢٤٦	المنصور ومحمد بن جعفر
٢٤٧	عمر بن الخطاب والعبور
٢٤٨	معاوية والزرقاء
٢٤٩	كريمان حصلا على الامارة بكرهما
٢٥٠	يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك
٢٥١	احسان كريم الى من قتل اياه
٢٥٢	جود من بن زائدة
٢٥٣	ابرهيم الموصل والمهدي
٢٥٤	المرأة المتظلة وابن المأمون
٢٥٥	المرأة الكريمة
٢٥٦	الاعرابي ومالك بن طوق
٢٥٧	الخارجي والمعتصم
٢٥٨	قصة رجل اجار رجلاً استغاث به
٢٥٩	الباب الخامس عشر في الفكاهات
٢٦٠	سيد العرب ابن الغضائري عند المعتضد
٢٦١	ابرهيم الموصل وابرهيم المهدي عند الرشيد
٢٦٢	ثقل وطريف
٢٦٣	سنان بن ثابت والطبيب القروي
٢٦٤	حذاء ابي القاسم الطنبوري
٢٦٥	الباب السادس عشر في التوارد
٢٦٦	ابن مقلة والواشي

وجه	وجه
٢٨٧	معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٨٨	شهد الحسين .
٢٩٠	مروءة اسماعيل المزرجي
	جود حام الطائي
٢٩١	إيثار ابن مامة الايادي
	صنم سومتاة
٢٩٢	الباب السابع عشر في الاسفار
٢٩٣	مدح السفر
٢٩٤	ذم السفر
٢٩٥	سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية
٢٩٦	الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات
٢٩٦	في شرح عجب الموجودات
٢٩٦	في جرم الشمس ووضعها
٢٩٦	في كسوف الشمس وبعض خواصها
٢٩٦	فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٢٩٦	في الحجرة والكواكب الثوابت
٢٩٦	فصل في ارباع السنة
٢٩٦	فصل في تولد الاقمار
٢٩٦	جسم الارض ودورانها وهيئتها
٢٩٦	في السحاب والمطر وما يتعلق بها
٢٩٦	في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك
٢٩٦	الباب التاسع عشر في المراسلات
٢٩٦	في المراسلات بين الملوك والامراء
٢٩٦	في الاشواق وحسن التواصل
٢٩٦	فصول في التهنة
٢٩٦	في الترومية
٢٩٦	فصول في الذم
٢٩٦	فصل في المدح والشكر
٢٩٦	فصول في التمازي
٢٩٦	فصول في وصاة
٢٩٦	الباب العشرون في تاريخ العرب
٢٩٦	نظر في امة العرب وطبائعهم وكنائهم
٢٩٦	ذكر نسب العرب وتقاسيمهم
٢٩٦	اخبار عرب العاربة او البائدة
٢٩٦	العرب المتعربة بنو قحطان
٢٩٦	ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان
٢٩٦	سد مأرب وتفرع بني سبا
٢٩٦	ملك التباينة بني حمير في اليمن
٢٩٦	ملك شداد وتبع وافريقس وذو الازعار
٢٩٦	ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش
٢٩٦	ذو نواس وشهداء الصرائية في نجران
٢٩٦	استيلاء الحبشة على ملك اليمن
٢٩٦	اخبار سيف بن ذي يزن
٢٩٦	ملك المناذرة بني كهلان في العراق
٢٩٦	ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي
٢٩٦	امرؤ القيس البدء والحرق والتمان
٢٩٦	المنذر والتمان والاسود وامرؤ القيس
٢٩٦	ملك المنذر الثالث والتمان قابوس
٢٩٦	خبر تنصر التمان
٢٩٦	التمامة ملوك الشام بنو كهلان
٢٩٦	ملوك كندة
٢٩٦	ذكر العرب المتعربة بنو اسماعيل
٢٩٦	ملحق بتاريخ العرب
٢٩٦	اخبار العرب
٢٩٦	علوم العرب وادابهم

Bibliotheca Alexandrina



0431189